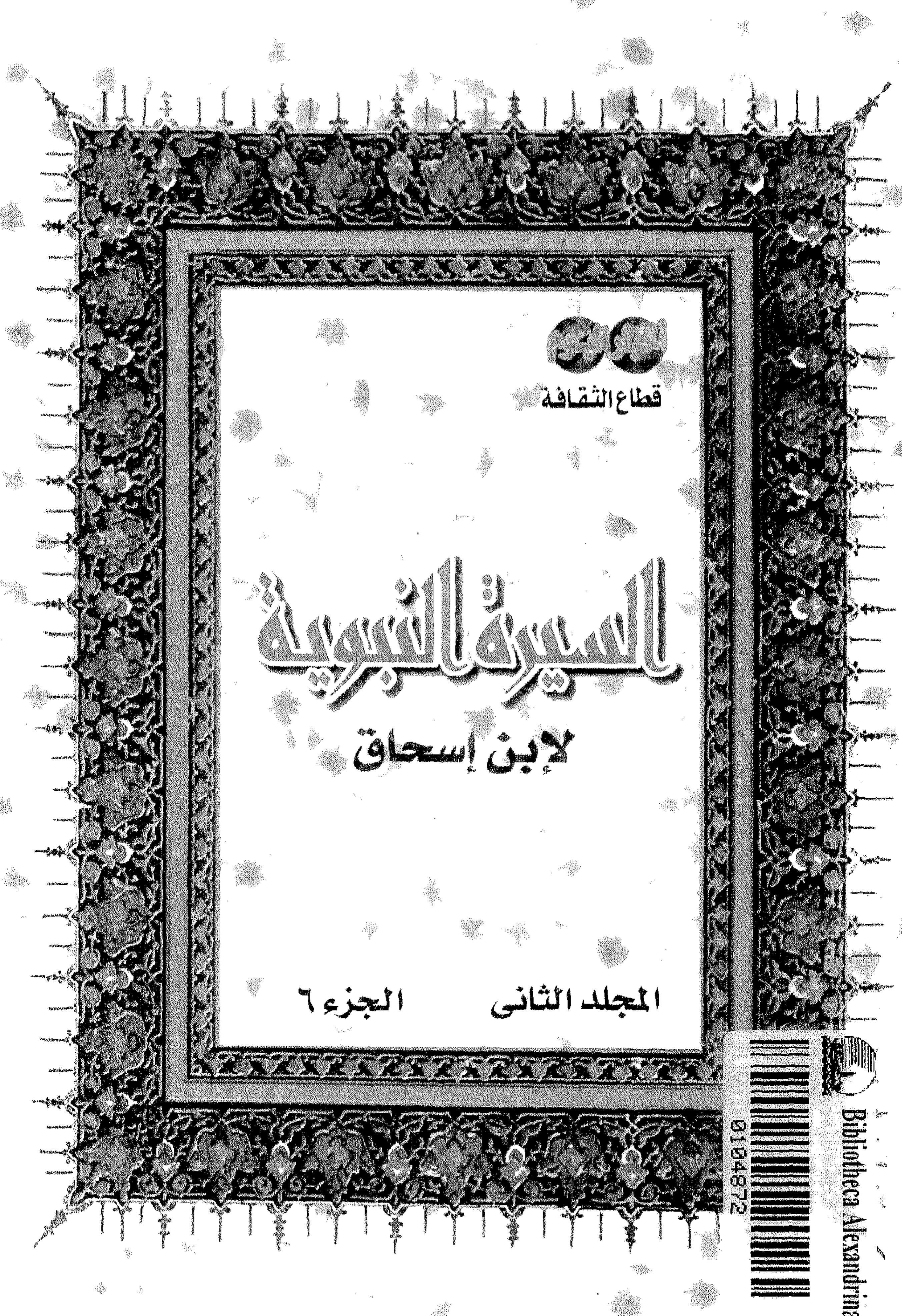

قطاع الثقافة
السيرة النبوية
لابن إسحاق
المجلد الثانى
الجزء ٦
Bibliotheca Alexandrina
0104872

فقال : يا رسول الله : اسمع ما قال سعد بن عبادة ، ما نأمن أن يكون له فى قريش صولة ، فقال رسول الله ﷺ لعلى بن أبى طالب : أدركه ، فخذ الراية منه فكن أنت الذى تدخل بها (١) .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى عبد الله بن أبى نَجيح فى حـــديثه . أن رسول الله ﷺ أمر خالد بن الوليد ، فدخل من الليط ، أسفل مكة ، فى بعض الناس . وكان خالد على المجنبة اليمنى ، وفيها أسلم وسليم وغفار ومزينة وجهينة وقبائل من قبائل العرب . وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ينصب لمكة بين يدى رسول الله ﷺ ، ودخل رسول الله ﷺ من أذاخر ، حتى نزل بأعلى مكة ، وضربت له هنالك قبته .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح وعبد الله بن أبى بكر : أن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل وسهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناسا بالخندمة ليقاتلوا ، وقد كان حماس بن قيس بن خالد آخو بنى بكر ، يعد سلاحا قبل دخول رسول الله ﷺ ، ويصلح منه، فقالت له امرأته : لماذا تعد ما أرى ؟ قال : لمحمد وأصحابه ، قالت : والله ما أراه يقوم لمحمد وأصحابه شىء ، قال : والله أنى لأرجو أن أخدمك بعضهم ، ثم قال :

إن يُقْبِلوا اليَوم فَما لى عِلَّةْ هَذا سِلاَحٌ كَامِل وإِلَهْ (٢)
وذُو غَرارين سَرِيع السَّلَه (٣)

ثم شهد الخندمة مع صفوان وسهيل وعكرمة فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد ناوشوهم شيئًا من قتال ، فقتـــل كرز بن جابر ، أحد بنى محارب ابن فِهر ، وخنيس بن خالد بن ربيعة بن أصرم ، حليف بنى منقذ ، وكانا فى خيل خالد بن الوليد فشذا عنه فسلكا طريقا غير طريقه فقتلا جميعاً ، قتل خنيس بن خالد قبل كرز بن جابر ، فجعله كرز بن جابر بين رجليه ، ثم قاتل عنه حتى قتل ، وهو يرتجز ويقول :

---

(١) وهذا خير دليل على سماحة ورحمة الرسول وأنه لا يريد إراقة دماء .

(٢) الإلة : الحربة ذات السنان الطويلة

(٣) غرارين : حدين .

قَدْ عَلِمَتْ صَفْراءُ مِنْ بَنِى فِهِرْ نَقِيَّة الوَجْهِ نقيةَ الصَّدِرْ(١)

لأبن اليَوْمِ عَنْ أبى صَخِرْ

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى نجيح وعبد الله بن أبى بكر ، قالا : وأصيب من جهينة سلنة بن الميلاء ، من خيل خالد بن الوليد ، وأصيب من المشركين ناس قريب من اثنى عشر رجلاً ، أو ثلاثة عشر رجلاً ، ثم انهزموا ، فخرج حماس منهزمًا حتى دخل بيته ، ثم قال لامرأته : اغلقى علىَّ بابى قالت : فأين كنت تقول ؟ فقال :

إنَّك لو شَهِدْتِ يومَ الخَنْدَمَهْ إذ فَرَّ صَفْوان وفرَّ عِكرمه

وأبو يَزِيدَ قَائمٌ كَالمؤتَمه واستَقبلتْهُم بالسُّيوف المسلمه

يَقْطَعْنَ كلَ ساعد وجُمجُمه ضَربًا فلا يسمع إلا غَمْغَمَه (٢)

لَهُم نهيت خَلفنا وهَمهمه لم تَنْطِقى فى اللوم أدنى كَلِمهْ (٣)

● شعار المسلمين يوم فتح مكة :

وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وحنين والطائف ، شعار المهاجرين : يا بنى عبد الرحمن ، وشعار الخزرج : يا بنى عبد الله ، وشعار الأوس : يا بنى عبيد الله .

● الذين أمر النبى ﷺ بقتْلهم :

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ﷺ قد عهد إلى أمرائه من المسلمين ، حين أمرهم أن يدخلوا مكة ، أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم ، إلا أنه قد عهد فى نفر سماهم أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة ، منهم عبد الله بن سعد أخو بنى عامر بن لؤى .

---

(١) قوله : من بنى فهر بكسر الهاء وأبو صخر : هذا على مذهب العرب فى الوقف على ما أوسطه ساكن ، فإن منهم من ينقل حركة لام الفعل إلى عين الفعل فى الوقف ، وذلك إذا كان الاسم مرفوعا أو مخفوضًا ولا يفعلون ذلك فى النصب وعلله مستقصاة فى كتب النحو فانظرها .

(٢) الغمغمة : أصوات غير مفهومة .

(٣) النهيت : صوت الصدر ، والهمهمة : صوت فى الصدر أيضًا .

• السبب الذى دعا الرسول إلى الأمر بقتل عبد الله بن سعد :

وإنما أمر رسول الله ﷺ بقتله لأنه قد كان أسلم ، وكان يكتب لرسـول الله ﷺ الوحى ، فارتد مشركًا راجعًا إلى قريش ، ففر إلى عثمان بن عفان ، وكان أخاه للرضاعة ، فغيبه حتى أتى به رسول الله ﷺ بعد أن اطـمأن الناس وأهل مكة ، فاستأمن له ، فزعموا أن رسول الله ﷺ صمت طويلاً ، ثم قال : نعم ، فلما انصرف عنه عثمان ، قال رسول الله ﷺ لمن حوله من أصحابه : لقد صمت ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه . فقال رجل من الأنصار : فهلا أومأت إلىّ يا رسول الله ؟ قال : إن النبى لا يقتل بالإشارة (١) .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن خطل رجل من بنى تميم بن غالب ، إنما أمر بقتله إنه كان مسلمًا ، فبعثه رسول الله ﷺ مصـدقًا ، وبعث معه رجلاً من الأنصار ، وكان معه مولى له يخدمه ، وكان مسلمًا ، فنزل منزلاً ، وأمر المولى أن يذبح له تيسًا (٢) ، فيصنع له طعامًا ، فنام ، فاستيقظ ولم يصنع شيئًا ، فعدا عليه فقتله ، ثم ارتد مشركًا .

• أسماءُ من أمر النبى ﷺ بقَتلهم :

وكانت له قينتان : فرتنى وصاحبتها ، وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ ، فأمر رسول الله ﷺ بقتلهما معه .

والحويرثِ بن نقيذ بن وهب بن عبد بن قصى ، وكان ممن يؤذيه بمكة (٣) .

قال ابن إسحاق ومقيس بن صبابة : وإنما أمر رسول الله ﷺ بقتله ، لقتل الأنصارى الذى كان قتل أخاه خطأ ، ورجوعه إلى قريش مشركًا ، وسارة ، مولاة لبعض بنى عبد المطلب ، وعكرمة بن أبى جهل ، وكانت سارة ممن يؤذيه بمكة ، فأما عكرمة فهرب إلى اليمن وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام ، فاستأمنت

---

(١) قال ابن هشام : ثم أسلم بعد ذلك فولاه عمر بن الخطاب بعض أعماله ، ثم ولاه عثمان بن عفان بعد عمر .

(٢) التيس : الذكر من المعز والظباء إذا أتى عليه عام . انظر المعجم الوجيز ص ٨٠ .

(٣) قال ابن هشام : وكان العباس بن عبد المطلب حمل فاطمة وأم كلثوم ابنتى رسول الله ﷺ من مكة يريد بهما المدينة فنخس بهما الحويرث بن نقيذ فرمى بهما إلى الأرض .

له من رسول الله ﷺ فأمنه ، فخرجت في طلبه إلى اليمن ، حتى أتت به رسـول الله ﷺ ، فأسلم ، وأما عبد الله بن خطل ، فقتله سعيد بن حريث المخزومى وأبو برزة الأسـلمى ، اشتركا فى دمه ، وأما مقيس بن صبابة فقتله نميلة ابن عبد الله ، رجل من قومه ، فقالت أخت مقيس فى قتله :

لَعَمْرى لَقَدْ أَخزَى نُمَيلة رَهْطه ... وَفَجع أَضْيَاف الشتَاءِ بمقيـسِ

فلله عينًا من رأى مثل مقيس ... إذا النفساء أصبحت لم تخرَّس [١]

● **ما قاله عليه السلام على باب الكعبة** : لا إله إلا الله وحده لا شريك له . صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ألا كل مأثرة ودم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحج ، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا ففيه الدية مغلظة ، مائة من الإبل أربعون منها فى بطونها أولادها . يا معشر قريش : إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية ، وتعظمها بالآباء ، الناس من آدم ، وآدم من تراب ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنـثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ [٢] الآية كـلها . ثم قال : يا معـشر قريش ، ما ترون أنى فاعل فيكم ، قالوا : خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم . قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء » [٣] .

ثم جلس رسول الله ﷺ فى المسجد ، فقام إليه على بن أبى طالب ومفتاح الكعبة في يده ، فقال : يا رسول الله : اجمـع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك ، فقال رسول الله ﷺ : أين عثمان بن طلحة ؟ فدعى له ، فقال : هاك مفتاحك يا عثمان : اليوم يوم بر ووفاء [٤] .

---

(١) التخريس : نوع من الطعام يصنع للمرأة بعد ولادتها .

(٢) الحجرات : الآية ١٣ .

(٣) وهذا قمة العفو عند المقدرة والصفح الجميل مع القدرة على قطع رقابهم وكان بإمكان النبى ﷺ إشارة لأصحابه أن يقتلوهم جميعًا .

(٤) قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم : أن رسول الله ﷺ دخل البيت يوم الفتح : فرأى فيه صورة الملائكة وغيرهم ، فرأى إبراهيم عليه السلام مصورًا فى يده الأزلام يستقسم بها ، فقال : قاتلهم الله ، جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام ، ما شأن إبراهيـم والأزلام ﴿ **ما كان إبراهيم يهوديًا ولا نصرانيًا ولكن كان حنيفا مسلمًا وما كان من المشركين** ﴾ . ثـم=

• قصة خِراش مع قَاتل أحمر :

قال ابن إسحاق : حدثنى سعيد بن أبى سَنْدر الأَسْلَمى ، عن رجل من قومه قال : كان معنا رجل يقال له أحمر بأسا · وكان رجلاً شجاعًا ، وكان إذا نام غط غطيطاً [1] منكراً لا يخفى مكانه ، فكان إذا بات فى حيه بات معتزا [2] ، فإذا بيت الحى [3] صرخوا يا أحمر ، فيثور مثل الأسد لا يقوم لسبيله شىء ، فأقبل غزى من هذيل يريدون حاضره [4] حتى إذا دنوا من الحاضر قال ابن الأثوع الهذلى : لا تعجلوا حتى أنظر ، فإن كان فى الحاضر أحمر فلا سبيل إليهم ، فإن له غطيطاً لا يخفى ، قال فاستمع ، فلما سمع غطيطه مشى إليه حتى وضع السيف فى صدره ، ثم تحامل عليه حتى قتله ، ثم أغاروا على الحاضر، فصرخوا يا أحمر ولا أحمر لهم ، فلما كان عام الفتح ، وكان الغد من يوم الفتح ، أتى ابن الأثوع الهذلى حتى دخل مكة ينظر ويسأل عن أمر الناس ، وهو على شركه ، فرأته خزاعة ، فعرفوه ، فأحاطوا به وهو إلى جنب جدار من جدر مكة ، يقولون : أأنت قاتل أحمر ، قال : نعم ، أنا قاتل أحمر فمه ؟ قال : إذا أقبل خراش بن أمية مشتملاً على السيف ، فقال : هكذا عن الرجل [5] والله ما نظن إلا أنه يريد أن يفرج الناس عنه ، فلما انفرجنا عنه حمل عليه فطعنه بالسيف فى بطنه ، فوالله لكأنى أنظر إليه وحشوته [6] تسيل من بطنه ، وإن عينيه لترنقان [7] فى رأسه ، وهو يقول : أقد فعلتموها يا معشر خزاعة ؟ حتى انجعف [8] فوقع · فقال رسول الله ﷺ : يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتال ، فقد كثر القتل إن نفع ، لقد قتلتم قتيلاً لأدينه ·

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الرحمن بن حرملة الأسلمى ، عن سعيد بن المسيب ·

= أمر بتلك الصور كلها فطمست ، وذكر ابن هشام أيضًا أن رسول الله ﷺ صلى بالكعبة ومعه بلال ·

(١) الغطيط : ما يسمع من صوت الإنسان إذا نام ·

(٢) معتزا : منفرداً · (٣) بيت : غزى ليلاً ·

(٤) الحاضر : النازلون على الماء · (٥) أى تنحوا عنه ·

(٦) حشوته : ما اشتمل عليه جوفه من الأحشاء ·

(٧) ترنقان : قربتا على الانغلاق · (٨) انجعف : سقط بكل ثقله ·

قال : لما بلغ رسول الله ﷺ ما صنع خراش بن أمية قال : إن خراشًا لقتَّال ، يعيبه لذلك ٠

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن أبى سعيد المقبُرى ، عن أبى شُريح الخُزَاعى ، قال : لما قدم عمرو بن الزبير [١] مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير ، جئته ، فقلت له : يا هذا ، إنا كنا مع رسول الله ﷺ ، حين افتتح مكة ، فلما كان الغد من يوم الفتح عدت خزاعة على رجل من هذيل فقتلوه وهو مشرك فقام رسول الله ﷺ فينا خطيبا ، فقال : يا أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض ، فهى حرام من حرام إلى يوم القيامة ، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر ، أن يسفك فيها دما ، ولا يعضد [٢] فيها شجراً لم تحلل لأحد كان قبلى ، ولا تحل لأحد يكون بعدى ، ولم تحلل لى إلا هذه الساعة ، غضبا على أهلها ألا ، ثم قد رجعت كحرمتها بالأمس ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب ، فمن قال لكم : إن رسول الله ﷺ قاتل فيها ، فقولوا : إن الله قد أحلها لرسوله ، ولم يحللها لكم ، يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل ، فلقد كثر القتل إن نفع ٠ لقد قتلتم قتيلا لأدينه ، فمن قتل بعد مقامى هذا فأهله بخير النظرين ٠ إن شاءوا فدم قاتله ، وإن شاءوا فعقله [٣] ، ثم ودى رسول الله ﷺ ذلك الرجل الذى قتلته خزاعة ، فقال عمرو لأبى شريح : انصرف أيها الشيخ ، فنحن أعلم بحرمتها منك ، إنها لا تمنع سافك دم ، ولا خالع طاعة ، ولا مانع جزية ، فقال أبو شريح : إنى كنتُ شاهدا وكنتَ غائبا ، ولقد أمرنا رسول الله ﷺ أن يبلغ شاهدنا غائبنا ، وقد أبلغتك ، فأنت وشأنك [٤] .

---

(١) هذا وهم من ابن هشام ٠ وصوابه : عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية ، وهو الأشدق ٠٠٠ وإنما دخل الوهم على ابن هشام أو على البكائى فى روايته ، من أجل أن عمرو ابن الزبير كان معاديا لأخيه عبد الله ومعينا لبنى أمية ، هذا ما ذهب إليه السهيلى فى الروض الأنف ٠ (٢) يعضد : يقطع ٠ (٣) عقله : أى أخذ ديته ، العقل : أخذ الدية ٠٠

(٤) قال ابن هشام : وبلغنى عن يحيى بن سعيد : أن النبى ﷺ حين فتح مكة ودخلها ، قام على الصفا يدعو الله ، وقد أحدقت به الأنصار ، فقالوا فيما بينهم : أترون رسول الله ﷺ ، إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها ؟ فلما فرغ من دعائه قال : ماذا قلتم ؟ قالوا : لا شىء يا رسول الله ، فلم يزل بهم حتى أخبروه ، فقال النبى ﷺ : معاذ الله ! المحيا محياكم ، والممات مماتكم ٠

وأما قينتا ابن خطل فقُتلت إحداهما ، وهربت الأخرى ، حتى استؤمن لها رسول الله ﷺ بعد ، فأمنها ، وأما سارة فاستؤمن لها فأمنها ، ثم بقيت حتى أوطأها رجل من الناس فرسًا فى زمن عمر بن الخطاب بالأبطح فقتلها . وأما الحويرث بن نقيذ فقتله على بن أبى طالب .

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن أبى هند ، عن أبى مرة ، مولى عقيل بن أبى طالب ، أن أم هانىء بنت أبى طالب قالت : لما نزل رسول الله ﷺ بأعلى مكة ، فرَّ إلىَّ رجلان من أحمائى ، من بنى مخزوم ، وكانت عند هبيرة بن أبى وهب المخزومى ، قالت : فدخل علىَّ علىٌّ بن أبى طالب أخى ، فقال : والله لأقتلهما ، فأغلقت عليهما باب بيتى ، ثم جئت رسول الله ﷺ وهو بأعلى مكة ، فوجدته يغتسل من جفنة إن فيها لأثر العجين ، وفاطمة ابنته تستره بثوبه ، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثمانى ركعات من الضحى ثم انصرف إلىَّ ، فقال : مرحبا وأهلا يا أم هانئ ، ما جاء بك ؟ فأخبرته خبر الرجلين وخبر على ، فقال : قد أجرنا من أجرت ، وأمنا من أمنت ، فلا يقتلهما .

الرسول يدخل الحرم : قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عبد الله بن عبد الله بن أبى ثور ، عن صفية بنت شيبة ، أن رسول الله ﷺ لما نزل مكة ، واطمأن الناس ، خرج حتى جاء البيت ، فطاف به سبعا على راحلته ، يستلم الركن بمحجن (١) فى يده ، فلما قضى طوافه ، دعا عثمان بن طلحة ، فأخذ منه مفتاح الكعبة ، ففتحت له ، فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان ، فكسرها بيده ثم طرحها ، ثم وقف على باب الكعبة وقد استكف له الناس (٢) فى المسجد .

قال ابن إسحاق : فحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قام على باب الكعبة ، فقال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ألا كل مأثرة (٣) أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمى هاتين إلا سدانة (٤) البيت .

---

(١) المحجن : عصا معقفة الرأس .

(٢) استكف : اجتمع .

(٣) المأثرة : ما يتحدث به من المكارم .

(٤) السدانة : الخدمة .

• الرسول ﷺ يُعطى الأمان لِصَفْوان :

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن جعفر ، عن عروة بن الزبير قال : خرج صفوان بن أمية يريد جدة ليركب منها إلى اليمن فقال عمير بن وهب يا نبى الله إن صفوان بن أمية سيد قومه ، وقد خرج هاربًا منك ، ليقذف نفسه فى البحر فأمنه صلى الله عليك ، قال : هو آمن ، قال : يا رسـول الله فأعطنى آية يعرف بها أمانك ، فأعطاه رسول الله ﷺ عمامته التى دخل بها مكة ، فخرج بها عمير حتى أدركه ، وهو يريد أن يركب فى البحر ، فقال : يا صفوان فداك أبى وأمى الله فى نفسك أن تهلكها ، فهذا أمان من رسول الله ﷺ قد جئـتك به ، قال : ويحك ! أغرب عنى فلا تكلمنى ، قال : أى صفوان ، فداك أبى وأمـى أفضل الناس ،وأبرُّ الناس ، وأحلم الناس ، وخير الناس ، ابن عمك ، عزه عزك ، وشرفه شرفك ، وملكه ملكك ، قال : إنى أخافه على نفسى ، قال : هو أحلم من ذاك وأكرم · فرجع معه ، حتى وقف به على رسول الله ﷺ فقال صفوان : إن هذا يزعم أنك قد أمنتنى قال : صدق ، قال : فاجعلنى فيه بالخيار شهرين ، قال : أنت بالخيار فيه أربعة أشهر [(١)] ·

إسْلام رُءوس أَهل مكة : قال ابن إسحاق : وحدثنى الزهرى : أن أم حكيم بنت الحارث بن هشام ، وفاختة بنت الوليد – وكانت فاختة عند صفوان بن أمية ، وأم حكيم عند عكرمة بن أبى جهل – أسلمتا ، فأما أم حكيم فاَستأمنت رسول الله ﷺ لعكرمة ، فأمنه فلحقت به باليمن ، فجاءت به ، فلما أسلم عِكرمة وصفوان أقرهما رسول الله ﷺ عندهما على النكاح الأول ·

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت : قال : رمى حسان : ابن الزبعرى وهو بنجران ببيت واحد ما زاده عليه :

لاَ تَعْدِمَنَّ رَجُلاً أحلك بُغْضُه ... نَجْران فى عَيش أَحذ لَئيم [(٢)]

فلما بلغ ذلك ابن الزبعرى خرج إلى رسول الله ﷺ فأسلم ، فقال حين أسلم :

---

(١) وهذا خير دليل على كرم الرسول ﷺ وعفوه وسماحته ·

(٢) الأحذ : القليل ·

يَا رَسُــــولَ المليكِ إنَّ لسَانِى ... رَاتِق مَا فتقت إذ أنَا بُورُ (١)
إذْ أُبَارِى الشَّيْطان فِى سنَن الغَىِّ ... وَمَنْ مَال مَيْله مَــثْبورُ (٢)
آمَن اللحم وَالعظــــام لربى ... ثُمَّ قَلْبى الشَّهيد أَنْتَ النَّذيرُ
إنَّنى عَنْك زَاجِــــرٌ ثَمَّ حَيًّا ... مَنْ لُؤى وكلُّهم مَغْــرُورُ

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن الزبعرى أيضًا حين أسلم :

مَنعَ الرُّقَاد بَلابِل وَهُمُــــوم ... وَالليل مُعْتَلج الرواق بَهيم (٣)
مَمَا أتانى أَنْ أَحْمَد لاَمنـــى ... فِيهِ فَبِتُّ كَأننى مَحْمــــوم
يا خَيْرَ مَن حملتْ على أوصَالها ... عيرانة سَرح اليدين غَشومُ (٤)
إنى لمعتذرٌ إليك من الـــذى ... أَسديتُ إذا أنا فى الضلال أَهيمُ
أيامَ تأمُرنى بأغوى خطـــة ... سهم وتأمرنى بهــــا مَخزومُ
وأمد أسبـــاب الرَّدى ويقودنى ... أمر الغُواة وأمـــرهم مَشئومُ
فَاليَوم آمنُ بالنبـــى مُحَمد ... قلبى ومخطئ هــــذه مَحرومُ
مَضت العداوةُ وانقضتْ أسبابُهَا ... ودعتْ أواصر بيننـــا وحلومُ
فاغفر- فدى لك والداى كلاهما ... زللى ، فإنك رَاحـــم مَرحومُ
وعليك مِنْ عِلْم المليك علامة ... نورٌ أغر وخَاتم مَختـــومُ
أَعطاكَ بعدَ محبـــة بُرهانَهُ ... شرفًا وبرهان الإلهِ عظيــمُ
ولقد شهدتُ بأَن دينكَ صادقٌ ... حَقٌّ وإنكَ فـــى العبادِ جَسيمُ
واللهُ يشهدُ أنَ أحمدَ مُصطَفًى ... مستقبلٌ فى الصـــالحين كَريمُ
قَرم عَلَا بنيانهُ من هاشـــم ... فَرع تمكَّن فى الذرا وَأروم (٥)

(١) الراتق : الساد . بور : هالك .

(٢) أبارى : أجارى . مثبور : هالك .

(٣) البلابل : وساوس الأحزان . معتلج : مضطرب ، والبهيم : شديد الإظلام .

(٤) العيرانة : الناقة الشديد تشبه العير . سرح اليدين : شديدتهما . غشوم : لا ترد عن وجهها .

(٥) القرم : السيد . الأروم : مفردها أرم وهو الأصل .

● بقاء هُبيرة على كُفره :

قال ابن إسحاق: وأما هُبيرة بن أبى وهب المخزومى فأقام بها حتى مات كافراً ، وكانت عنده أم هانىء بنت أبى طالب ، واسمها هند ، وقد قال حين بلغه إسلام أم هانىء :

أَشَاقتك هند أم أتاكَ سؤَالها ... كَذاك النَّوَى أَسبَابها وانْفتَالُها (١)
وَقدْ أَرقتْ فِى رَأسِ حصْنٍ مُمنَّعٍ ... بَنْجَرانَ يَسرى بَعْدَ لَيْلٍ خَيَالها
وَعاذلةٌ هَبَّتْ بَلَيْلٍ تَلُومُنى ... وَتعْذلُنَى بَالليل ضَلَ ضَلالها
وَتزعَم أَنَّى إن أَطَعْتُ عَشيرَتى ... سَأَردَى وهَل يَرْدَين إلا زِيَالها (٢)
فَإنى لَمنِ قَوم إذا جَدَّ جَدُّهُم ... عَلَى أىِّ حَالٍ أصبح اليوم حَالُها
وإنى لَحامٍ من وراء عشيرتى ... إذا كان من تحت العوالى مَجالها(٣)
وصارتْ بأَيديها السيوف كأنها ... مخاريق ولدان ومنها ظلالُها (٤)
وإنِى لأقلى الحاسدين وفعلهم ... على الله رزقى نفسها وعيالُها
وإن كلام المرء فى غير كُنْهه ... لكالنبل تهوى ليس فيها نصالُها
فإن كنت قد تابعت دِينَ محمدَ ... وعطفتِ الأرحام منك حبالُها
فكونى عَلى أعْلَى سَحيق بَهضبةٍ ... مَلملمة غَبراء يَبس بلالُها (٥)

قال ابن إسحاق : ويروى : « وقطعت الأرحام منك حبالها » .

عُدة من فتح مكة : قال ابن إسحاق : وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف . من بنى سليم سبعمائة . ويقول بعضهم : ألف ، ومن بنى غفار أربعمائة ، ومن أسلم أربعمائة ، ومن مزينة ألف وثلاثة نفر ، وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم ، وطوائف العرب من تميم وقيس وأسد .

---

(١) انفتالها : تقلبها من حال إلى حال .

(٢) يردين : أى يهلكن ، زيالها : ذهابها .

(٣) العوالى : الرماح .

(٤) المخاريق : ما يلعب به الأطفال من الخرق المفتولة .

(٥) ململمة : مستديرة .

ما قيل من الشعر فى فتح مكة : وكان مما قيل من الشعر فى يوم الفتح قول حسان بن ثابت الأنصارى :

عفتْ ذاتُ الأصابع فالجواءِ ... إلى عَذراء منزلها خَلاء (١)
دِيارٌ من بنى الحسحاسِ قفر ... تعفيها الروامس والسماء (٢)
وكانت لا يَزالُ بها أنيسٌ ... خِلال مُروجها نعم وشاءُ
فَدَعْ هذا ، ولكن من لطيف ... يؤرقنى إذا ذهب العشاءُ
لِشَعثاءَ التى قد تَيمته ... فليس لقلبه منها شِفَاءُ (٣)
كأن خبيئةُ من بيت رأس ... يكون مزاجها عسل وماء (٤)
إذا ما الأشربات ذكرن يومًا ... فهن لطيب الراح الفداء
نُوَلِّيها المَلامة إن المُنَا ... إذا ما كان مغث أو لحاء
ونشربها فتتركنا ملوكًا ... وأسدًا ما ينهنهنا اللقاء (٥)
عَدِمْنَا خَيلنَا إنْ لم تَروهَا ... تُثير النَّقْعَ موعدها كَداءُ (٦)
يُنَازِعنَ الأَعنَّةَ مُصْغِياتٌ ... عَلى أكتافِهَا الأسل الظمَاءُ (٧)
تَظلُّ جِيادُنَا مُتَمطِّرات ... يُلطمهن بالخمر النساء (٨)

(١) عفت : تغيرت . ذات الأصابع ، والجواء : موضعان بالشام . وبالجواء . كان منزل الحارث بن أبى شمر الغسانى . وكان حسان كثيرا ما يرد على ملوك غسان يمدحهم . وعذراء : قرية على بريد من دمشق قتل بها حجر بن عدى وأصحابه .

(٢) بنو الحسحاس : حى من بنى أسد . وقوله : الروامس والسماء ، يعنى : الرياح والمطر والسماء لفظ مشترك يقع على المطر وعلى السماء المعروفة .

(٣) شعثاء : اسم امرأة وهى زوجته ، وبنت كاهن الأسلمية . وقيل : امرأة من خزاعة .

(٤) الخبيئة : الخمر المضنون بها ، وبيت رأس : موضع بالأردن مشهور بالخمر الجيد .

(٥) ينهنهنا : يزجرنا .

(٦) كَداء : موضع بمكة ، ثنية فى أعلى مكة دخل منها الرسول ﷺ يوم الفتح .

(٧) المصغيات : المنحرفة للطعن . الأسل : الرماح .

(٨) متمطرات : متسبيات . يلطمهن : يضربهن ، يقول السهيلى فى الروض : قال ابن دريد فى الجمهرة : كان الخليل يروى « يطلمهن » وينكر « يلطمهن » ويجعله بمعنى ينفض النساء بخمرهن ما على الخيل من الغبار (انظر الروض ٤ / ١١٨) .

فَإِمَّا تُعرِضوا عنَّا اعتمرنَا ... وكان الفتحُ وانكشفَ الغطَاءُ

وإلا فاصبروا لجِلادِ يومٍ ... يَعِينُ اللهُ فيــــه من يَشاءُ

وجبريل رَسولُ اللهِ فينا ... ورُوحُ القُدس ليس له كفاءُ (١)

وَقال اللهُ قد أرسلتُ عبدًا ... يَقولُ الحقَّ إنْ نَفَع البلاءُ (٢)

شَهدتُ به فَقُوموا صَدِّقُوهُ ... فَقلتم لاَ نقومُ ولا نَشاءُ

وَقَال اللهُ قَد سَيَّرتُ جُندًا ... هَمُ الأنصارُ عَرضتها اللقاءُ (٣)

لَنا فِى كُلِّ يَومٍ مَن مَعد ... سبابٌ أَو قتالٌ أَو هِجاءُ

فَنحكُم بالقوافِى مَن هَجانا ... ونضربُ حين تختلطُ الدماءُ (٤)

أَلاَ أَبلغ أبا سُفْيانَ عَنِّى ... مغلغلة فقد بَرِح الخَفاءُ (٥)

بأَن سُيوفَنا تركتك عَبْداً ... وعبدُ الدار سَادتها الإِماءُ

هَجوتَ محمداً وأَجبتُ عَنه ... وعندَ اللهِ فى ذاكَ الجزاءُ

أَتهجُوهُ ولستَ له بكفءٍ ... فشركُما لخيركُما الفداءُ (٦)

هَجوتَ مُباركًا بَرًّا حَنيفًا ... أَمينُ اللهِ شيمَتُهُ الوَفاءُ

أَمَنْ يَهجو رسولَ اللهِ منكُم ... ويَمدَحهُ ويَنصرُهُ سَواءُ ؟!

فَإن أَبى ووالده وعِرضى ... لِعرْضِ مَحمد منكم وَقاءُ

لِسَانى صَارِمٌ لا عَيبَ فِيهِ ... وَبَحرى لا تُكَدِّره الدلاءُ

---

(١) كَفاء : مثل .

(٢) البلاءُ : الاختبار .

(٣) عرضتها : عادتها .

(٤) نحكم : نمنع .

(٥) المغلغلة : الرسالة المكتوبة .

(٦) فشركما لخيركما الفداء : فى ظاهر اللفظ بشاعة ، لأن المعروف أن لا يقال هو شرهما إلا وفى كليهما شر ، وكذلك : شر منك ، ولكن سيبويه قال فى كتابه : تقول مررت برجل شر منك : إذا نقص عن أن يكون مثله ، وهذا يدفع الشناعة عن الكلام الأول ، ونحو منه قوله عليه السلام : « شر صفوف الرجال آخرها » يريد : نقصان حظهم عن حظ الأول ، كما قال سيبويه ، ولا يجوز أن يريد التفضيل فى الشر . والله أعلم .

قال ابن إسحاق : وقال أنس بن زُنيم الديلى يعتذر إلى رسول الله ﷺ مما كان فيهم عمرو بن سالم الخزاعى :

أَنْتَ الذى تَهْدِى مَعــد بأمره ... بَل الله يَهْدِيهم وقَال لَكَ اشْهَد

ومَا حَمَلت من نَاقَة فَوق رَحْلِها ... أَبرَّ وأوفَى ذِمَّة مِنْ مُحَمــد

أَحَثَّ علــى خَيْرٍ وأسْبغ نَائلا ... إذَا رَاح كالسيف الصَّقِيل المهَنَّد

وأكسى لُبردِ الخَال قبل ابتذَاله ... وأعطى لِرأس السَّابق المتجرد (١)

تَعَلَّم رَســول الله أَنَّك مُدْرِكى ... وأن وَعيدًا مِنْك كَالأخذ باليدِ

تعلم رَسُول الله أَنَّــك قَادرٌ ... عَلى كُلِّ صِرمْ مُتهِمين ومَنْجد (٢)

تعلــم بأن الرَّكْبَ رَكْبَ عُوَيْمرٍ ... هُم الكَاذِبونَ المخلفو كُلَّ مَوْعِدِ

ونَبوا رَسُول الله أنــى هَجَوْتُه ... فَلا حَمِلت سَوطى إلىَّ إذن يَدى

سِوى أَنَّنى قَدْ قُلت وَيلُ أُمِّ فِتيةٍ ... أُصيبوا بنَحسٍ لا بَطلقٍ وأسْعد (٣)

أَصابهم مَنْ لَم يكن لِدمائهم ... كِفاء فَعزتْ عِبْرتى وتَبَلدِى (٤)

فَإنك قد أخفرت إن كَنت سَاعيا ... بِعَبد بن عبــد الله وابنة مَهودِ

ذُوَيب وكُلثوم وسَلْمى تَتابعوا ... جَميعا فإلا تَدمع العينَ أكْمدِ

وسَلْمى، وسَلْمى لَيس حَىٌّ كَمثله ... وإخوته وهَل مُلوك كَأعُبدِ ؟!

فَإنى لاَ دِينا فَتقت وَلا دَما ... هَرقت تَبين عَالم الحق واقصدِ

---

(١) الخال : نوع من البُرود اليمنية وهو من رفيع الثياب وسمى بالخال الذى بمعنى الخيلاء . والسابق : الفرس السابق ، والمتجرد : الذى يتجرد من الخيل فسبقها .

(٢) الصرم : البيوت المجتمعة . متهمين : ساكنين فى التهام ، وهى المنخفض من الأرض . منجد : من سكن فى نجد .

(٣) الطلق : الأيام السعيدة .

(٤) تبلدى : تحيرى .

فأجابه بُديل بن عبد مَناف بن أم أَصْرَم ، فقال :

بكى أنس رزْنًا فأعوله البكـــا ... فألاَّ عَديا إذْ تَطُل وتَبْعُد (١)

بكيتُ أبَا عَبـــس لقُرب دمَائها ... فَتُعذرُ إذْ لاَ يُوقدُ الحَربَ مُوقد

أَصَابهم يَومَ الخَنـــادم فتْيَةٌ ... كرَامٌ فَسَلْ ، مِنْهم نُفَيل ومَعْبد (٢)

هُنَالِكُ إنْ تَسْفَحْ دُموعَك لا تُلم ... عَليهم وإنْ لم تَدْمع العَينُ فاكمَدُوا

قال ابن إسحاق : وقال بُجير بن زهير بن أبى سلمى فى يوم الفتح .

نَفَى أهل الحَبلق كـــل فَجٍّ ... مُزينة غُدوة وبنو خُفَاف (٣)

ضَربنَاهُمْ بَمكة يومَ فتـــحِ ... النبـــى الخَير بالبيضِ الخفافِ

صَبَحناهَم بسبـــع مِن سُليم ... وألف مـــن بَنى عُثمان وافِ

نطَا أكتافهم ضربًا وطعنًا ... ورشقًا - بالمريشـــة اللطافِ

تَرى بين الصفوفِ لَها حفيفًا ... كما انصاع الفواق من الرصافِ

فَرحنا والجيادُ تَجول فيهم ... بأرمــــــاحٍ مُقَوَّمة الثِّقَافِ

فَأبنا غانمين بما اشتهـــينا ... وآبوا نادمين علـــى الخلافِ

وأعطينا رســـولَ الله منَّا ... مَواثقنا على حُسن التصـــافى

وقد سمـــعوا مَقالتَنا فهموا ... غَداة الرَّوع مـــنا بانصرافِ

* * *

---

(١) تطل : يبطل دمها ويصير هدراً .

(٢) الخنادم : أراد يوم الخندمة ، والخندمة : جبل بمكة .

(٣) الحبلق : أرض يسكنها قبائل من مُزينة ، وقيس ، والحبلق : الغنم الصغار ، ولعله أراد بقوله : أهل الحبلق أصحاب الغنم ، وبنو عثمان هم مزينة وهم بنو عثمان بن لاطم بن أد ابن طابخة ، ومزينة أمهم بنت كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن الحاف بن قضاعة ، وأختها : الحوأب التى عرف بها ماء الحوأب المذكور فى حديث عائشة حين قال رسول الله ﷺ لنسائه ما معناه : من منكن تنبحها كلاب الحوأب . فنبحت الكلاب عائشة رضي الله عنها فى قصة وقعة الجمل ،وأصل الحوأب فى اللغة القدح الضخم الواسع وبنو خفاف بطن من سليم .

مَسِيرُ خالد بن الوليد بعد الفتح إلى بنى جُذيمة من كِنانة[1] ومَسير علىٍّ لتلافِى خَطأ خالد

قال ابن إسحاق : وقد بعث رسول الله ﷺ فيما حول مكة السرايا تدعو إلى الله عز وجل ، ولم يأمرهم بقتال ، وكان ممن بعث خالد بن الوليد ، وأمره أن يسير بأسفل تهامة داعيا [2] ، ولم يبعثه مقاتلا ، فوطىء بنى جذيمة ، فأصاب منهم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف ، عن أبى جعفر محمد بن على ، قال : بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعيا ، ولم يبعثه مقاتلا ، ومعه قبائل من العرب : سليم بن منصور ، ومُدلج ابن مرة ، فوطئوا بنى جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة ، فلما رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال خالد : ضعوا السلاح ، فإن الناس قد أسلموا .

قال ابن إسحاق : فحدثنى بعض أصحابنا من أهل العلم من بنى جذيمة ، قال : لما أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجل منا يقال له جحدم : ويلكم يا بنى جذيمة ! إنه خالد والله ! ما بعد وضع السلاح إلا الإسار [3] ، وما بعد الإسار إلا ضرب الأعناق ، والله لا أضع سلاحى أبدًا . قال : فأخذه رجال من قومه ، فقالوا : يا جحدم ، أتريد أن تسفك دماءنا ؟ إن الناس أسلموا ووضعوا السلاح ، ووضعت الحرب ، وأمن الناس . فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه ، ووضع القوم السلاح لقول خالد .

قال ابن إسحاق : فحدثنى حكيم بن حكيم ، عن أبى جعفر محمد بن على ، قال : فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك ، فكتفوا ، ثم عرضهم على السيف ، فقتل من قتل منهم فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ ، رفع يديه إلى السماء ، ثم قال : اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد [4] .

---

(١) تسمى أيضًا غزوة الغميط ، وهو ماء لبنى جذيمة ، كما ذكر السهيلى فى الروض الأنف ٤ / ١٢٠ .

(٢) أى داعيا إلى الإسلام . (٣) أى الأسر .

(٤) وذلك لأن رسول الله ﷺ لم يأمره بالقتال وإنما أمره بالدعوة ونشر الإسلام .

قال ابن إسحاق :فحدثنى حكيم بن حكيم ، عن أبى جعفر محمد بن على قال: ثم دعا رسول الله ﷺ ، على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، فقال : يا على ، اخرج إلى هؤلاء القوم ، فانظر فى أمرهـم ، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك ، فخرج علىٌ حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله ﷺ ، فودى لهم الدماء وما أصيب لهم من الأموال ، حتى إنه ليدى لهم ميلغة الكلب [١] ، حتى إذا لم يبق شىء من دم ولا مال إلا وداه ، بقيت معه بقية من المال ، فقال لهم على رضوان الله عليه حين فرغ منهم : هل بقى لكم بقية من دم أو مال لم يـود لكم ؟ قالوا : لا . قال : فإنى أعطيكم هذه البقية من هذا المال ، احتياطا لرسول الله ﷺ ، مما يعلم ولا تعلمون ، فـفعل . ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر . فقال : أصبت وأحسنت! قال ثم قام رسول الله ﷺ فاستقبل القبلة قائما شاهراً يديه ، حتى ليرى مما تحت منكبيه،يقول:اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد، ثلاث مرات .

قال ابن إسحاق : وقد قال بعض من يعذر خالداً إنه قال : ما قاتلت حتى أمرنى بذلك عبد الله بن حذافة السهمى ، وقال : إن رسول الله ﷺ قد أمرك أن تقاتلهم لامتناعهم من الإسلام .

قال ابن إسحاق : وقد كان جحدم قال لهم حين وضعوا السلاح ورأى ما يصنع خالد ببنى جذيمة : يا بنى جذيمة ، ضاع الضرب ، قد كنت حذرتكم ما وقعتم فيه . قد كان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف ، فيما بلغنى ، كلام فى ذلك ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : عملت بأمر الجاهلية فى الإسلام . فقال : إنما ثأرت بأبيك. فقال عبد الرحمن : كذبت ، قد قتلت قاتل أبى ، ولكنك ثأرت بعمك الفاكه بن المغيرة ، حتى كان بينهما شر [٢] . فبلغ ذلك رسـول الله ﷺ ، فقال : مهـلا يا خالد ، دع عنك أصحابى ، فوالله لو كان لك أُحد ذهبا ثم أنفقته فى سـبيل الله ما أدركت غدوة رجلٍ من أصحابى ولا روحته [٣] .

● **مَا كان بين قُريش وبنى جُذيمة فِى الجاهلية :**

وكان الفاكه بنِ المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخْزوم ، وعوف بن عبد عوف ابن عبد الحارث بن زُهرة ، وعفان بن أبى العاص بن أُمية بن عبد شمس قد خرجوا

---

(١) ميلغة وميلغ:مسقاة تصنع من خشب ليلغ فيها الكلب ،والجمع : ميالغ ، وموالغ .

(٢) أى كاد الخلاف أن يؤدى إلى الشجار بينهما .

(٣) دليلا على منزلة السابقين إلى الإسلام - رضى الله عنهم - .

تجارًا إلى اليمن · ومع عفان ابنه عثمان ، ومع عوف ابنه عبد الرحمن فلما أقبلوا حملوا مال رجل من بنى جذيمة بن عامر ، كان هلك باليمن ، إلى ورثته (١) ، فادَّعاه رجل منهم يقال له خالد بن هشام ، ولقيهم بأرض بنى جذيمة قبل أن يصلوا إلى أهل الميت ، فأبوا عليه ، فقاتلهم بمن معه من قومه على المال ليأخذوه ، وقاتلوه ، فقُتل عوف والفاكه بن المغيرة ونجا عفان بن أبى العاص وابنه عثمان ، وأصابوا مال الفاكه ابن المغيرة ، ومال عوف بن عبد عوف ، فانطلقوا به ، وقتل عبد الرحمن بن عوف خالد بن هشام قاتل أبيه، فهمت قريش بغزو بنى جذيمة ، فقالت بنو جذيمة : ما كان مصاب أصحابكم عن ملإ منا، إنما عدا عليهم قوم بجهالة، فأصابوهم ولم نعلم، فنحن نعقل لكم ما كان لكم قبلنا من دم أو مال فقبلت قريش ذلك ، ووضعوا الحرب ·

وقد قال قائل من بنى جذيمة ، وبعضهم يقول : امرأة يقال لها سَلْمى :

وَلَولا مَقَال القَوم للقوم أَسلموا ... لَلاقَتْ سُلَيْم يَوْم ذَلك نَاطحَا
لَماصَعَهم بُسر وأَصحاب جَحدم ... ومرة حتى يتركوا البَرك ضَابحَا (٢)
فَكائن تَرى يَوم الغُمَيصاء مَن فَتًى ... أُصيبَ ولَم يَجْرح وقَد كان جارحَا (٣)
أَلَظتْ بخطاب الأَيَامَى وطُلِّقَتْ ... غَدَاتئذ منهن من كان نَاكحَا (٤)

قال ابن إسحاق : فأجابه عباس بن مرداس ، و يقال بل الجحاف بن حكيم السلمى:

دَعى عنك تقْوال الضَلال كَفى بنا ... لكَبْش الوغَى فى اليوم والأمس نَاطحَا
فَخالد أولَى بالتَّعَذرِ منْكُمُ ... غَداة عَلا نهجا من الأمرَ واضحَا
معانا بأمر الله يُزجِى إليكُمُ ... سَوانح لا تكبو له وبَوارحَا
نَعوا مَالكا بالسَّهْل لما هَبطْنه ... عَوابس فى كابى الغُبَار كوالحا (٥)
فإن نَكُ أثكلناكِ سلمى فما لكِ ... تركتم عليه نائحات ونائحا

---

(١) وهذا من أخلاق الجاهلية الحميدة التى أقرها الإسلام وهى خلق الأمانة فإذا كان أولئك المشركون حملوا مال من مات معهم غريبًا عن بلده إلى أهله وورثته وقاتلوا من أراد أخذ هذا المال حتى يحول بينهم وبين ورثة الرجل ، فأولى بالمسلمين اليوم أن يتحلوا بهذه الأخلاق التى أقرها الإسلام ومدحها فقال ﷺ : « لا دين لمن لا أمانة له » ·

(٢) المماصعة : المضاربة بالسيوف : البرك : الإبل الباركة ·

(٣) الغميصاء : هو ما يخرج من العين ، والمراد هنا موضع فى بادية العرب قرب مكة كان يسكنه بنو جذيمة بن عامر ·

(٤) ألظت : لزمت · والأيامى : من لا زوج لها ·

(٥) كابى : مرتفع ، الكوالح : العوابس ·

خبر ابن أبي حدرد مع بني جذيمة : قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة ابن المغيرة بن الأخنس ، عن الزهرى ، عن ابن أبى حدرد الأسلمى ، قال : كنت يومئذ فى خيل خالد بن الوليد ، فقال لى فتى من بنى جذيمة ، وهو فى سنى ، وقد جمعت يداه إلى عنقه برمة [1] ، ونسوة مجتمعات غير بعيد منه : يا فتى ، فقلت : ما تشاء ؟ قال : هل أنت آخذ بهذه الرمة ، فقائدى إلى هؤلاء النسوة حتى أقضى إليهن حاجة ، ثم تردنى بعد ، فتصنعوا بى ما بدا لكم ؟ قال : قلت : والله ليسير ما طلبت · فأخذت برمته فقدته بها ، حتى وقف عليهن ، فقال : اسلمى حبيش ، على نفد من العيش [2] :

أَريتُك إذ طَالبتكم فَوجَدْتُكُم ... بِحيلة أَو أَلفَيْتُكم بالخَوانِق [3]

أَلم يَكُ أَهلا أن ينوَّل عَاشِقٌ ... تَكلَّف إدلاج السُّرى والودائق [4]

فَلا ذَنبَ لِى قَد قُلتُ إذْ أَهلنا معًا ... أثيبى بود قَبل إِحدى الصَفَائق [5]

أَثيبى بِود قَبل أن تُشحط النَّوَى ... وَينأى الأمِيرُ بَالحبيب المُفَارِق

فَإنى لا ضَيَّعـــــتُ سِرَّ أَمانة ... وَلا رَاق عَينى عَنْك بَعْدك رَائق

سوى أَنْ مَا نَال العَشِيرةِ شَاغلٌ ... عَن الوُدِّ إلا أَنْ يكون النَوامِق [6]

قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، عن الزهرى عن ابن أبى حدرد الأسلمى قال : قالت : وأنتَ فحييت سبعا وعشرا ، وترا وثمانيا تترى قال : ثم انصرفت به · فضربت عنقه ·

قال ابن إسحاق : فحدثنى أبو فراس بن أبى سنبلة الأسلمى ، عن أشياخ منهـــم ، عمن كان حضرها منهم ، قالوا : فقامت إليه حين ضربت عنقه ، فأكبت عليه ، فما زالت تقبله حتى ماتت عنده ·

● شعر أحد بنى جذيمة :

قال ابن إسحاق : وقال رجل من بنى جُذيمة :

جَزى اللهُ عنا مُدلجا حيث أصبحت ... جَزاءة بُؤْسٍ حَيث سَارتْ وحلت

أَقاموا على أَقْضَاضنا يقســـمونَها ... وقد نَهلَتْ فِينا الرِّمَاحُ وعَلت

(١) الرمة : الحبل البالى ·(٢) نفد العيش : فناؤه· (٣) الحلية والخوانق : موضعان ·
(٤) الإدلاج : السير ليلا ، الدوائق : جمع وديقة وهى شدة الحر ·
(٥) الصفائق : النوائب · (٦) التوامق : شدة الحب ·

فَواللهِ لَولا دِين آل محَمدٍ لقد هَربتْ منهم خُيول فشلَت
وَمَا ضَرهم أن لا يَعينُوا كِتيبة كَرجل جراد أرْسلَت فاشمعلَت (١)
فَإما يُنيبُوا أو يثوبوا لأمرهمْ فَلا نَحن نجزيهم بما قد أضَلَّت

● رد ابن وهب عليه :

فأجابه ابن وهب رجل من بنى ليث فقال :

دَعونا إلى الإسلام والحق عامرا فَما ذنبنا فى عامر إذ تَولت
وَما ذنبنا فى عامر لا أبا لهم لأن سفهتْ أحلامهم ثم ضَلَت

وقال رجل من بنى جذيمة :

لَيهنئ بنى كعب مقدم خَالد وأصحابه إذ صبحتنَا الكَتائبُ
فَلاَ ترة تَسْعى بها ابن خُوَيلد وَقَدْ كُنْتُ مكفيا لو انك غائبُ (٢)
فَلا قَومنا يَنْهون عنَّا غَواتهم وَلا الداء من يوم الغمَيصاء ذاهبُ

خالد يهدم العزّى : ثم بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى العزى وكانت بنخلة ، وكانت بيتا يعظمه هذا الحى من قريش وكنانة ومضر كلها ، وكانت سدنتها وحجابها بنى شيبان من بنى سليم حلفاء بنى هاشم ، فلما سمع صاحبها السلمي بمسير خالد إليها ، علق عليها سيفه ، وأسند فى الجبل (٣) الذى هى فيه وهو يقول :

أيا عزُّ شدِّى شدة لا شَوى لها علِى خَالد ألقى القِنَاع وشمِّرى (٤)
يَا عزُّ إنْ لم تَقتُلى المرءَ خَالدًا فَبوئى بِإثْم عَاجِــــلِ أو تَنصرى

فلما انتهى إليها خالد هدمها ، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق : وحدثنى ابن شهاب الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ابن مسعود قال : أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة .

قال ابن إسحاق : وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان :

* * *

(١) اشمعلت : تفرقت . (٢) الترة : طلب الثأر . (٣) أسند فى الجبل : ارتفع فيه .
(٤) لا شوى لها : أى لا تذر شيئا

غَزْوَةُ حُنَيْنٍ فى سنة ثمان - بعد الفتح

قال ابن إسحاق : ولما سمعت هوازن برسول الله ﷺ وما فتح الله عليه من مكة ، جمعها مالك بن عوف النصرى ، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها ، واجتمعت نصر وجشم كلها ، وسعد بن بكر ، وناس من بنى هلال ، وهم قليل ، ولم يشهدها من قيس عيلان إلا هؤلاء ، وغاب عنها فلم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب ، ولم يشهدها منهم أحد له اسم ، وفى بنى جشم دريد بن الصمة شيخ كبير ، ليس فيه شىء إلا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب وكان شيخا مجربا ، وفى ثقيف سيدان لهم ، فى الأحلاف قارب بن الأسود بن مسعود بن معتب ، وفى بنى مالك ذو الخمار سُبيع بن الحارث بن مالك ، وأخوه أحمر بن الحارث ، وجماع أمر الناس إلى مالك بن عوف النصرى . فلما أجمع السير إلى رسول الله ﷺ حط مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم ، فلما نزل بأوطاس [(١)] اجتمع إليه الناس ، وفيهم دُريد ابن الصمَّة فى شجار [(٢)] له يقاد به ، فلما نزل قال : بأى واد أنتم ؟ قالوا : بأوطاس قال : نعم مجال الخيل ! لا حزن ضرس [(٣)] ، ولا سهل دهس [(٤)] ، مالى أسمع رغاء البعير ، ونهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويعار الشاء ؟ قالوا : ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم . قال : أين مالك ؟ قيل : هذا مالك ، ودعى له ، فقال : يا مالك ، إنك قد أصبحت رئيس قومك ، وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام ، ما لى أسمع رغاء البعير ، ونهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويعار الشاء ؟ قال : سقت مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم ، قال : ولم ذاك ؟ قال :

(١) ويقال لها أيضا غزوة أوطاس سميت بالموضع الذى كانت فيه الوقعة وهو من وطست الشىء وطسًا إذا كدرته ، وأثرت فيه . والوطيس : نقرة فى حجر توقد حوله النار ، فيطبخ به اللحم ، والوطيس التنور ، وفى غــزوة أوطاس قال النبى ﷺ : الآن حمِى الوطيس ، وذلك حين استعرت الحرب ، وهى من الكلم التى لم يسبق إليها ﷺ . راجع الروض الأنف ، وراجع أيضًا المجازات النبوية للشريف الرضى . تحقيق طه عبد الرءوف سعد ط مصطفى الحلبى .

(٢) الشجار : مركب أصغر من الهودج مكشوف أعلاه .

(٣) الحزن : المرتفع : ضرس : ما فيه حجارة مدببة .

(٤) دهس : لين التراب .

أردت أن أجعل خلف كل رجل منهم أهـــله وماله ، ليقاتل عنهم ، قال : فانقض به [١] . ثم قال : راعي ضأن ، والله ! وهل يرد المنهزم شيء ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فُضحت في أهلك ومالك ، ثم قال : ما فعلت كعب وكلاب ؟ قالوا : لم يشهدها منهم أحد ، قال : غاب الحد والجد ، ولو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب ولا كلاب ، ولوددت أنكم فعلتم ما فعلت كعب وكلاب ، فمن شهدها منكـــم ؟ قالوا : عمرو بن عامر ، وعوف بن عامر . قال : ذانك الجذعان [٢] من عامر ، لا ينفعان ، ولا يضـــران ، يا مالك ، إنك لم تصنع بتقديم البيضة بيضة [٣] هوازن إلى نحور الخيل شيئا ، ارفعهم إلى متمنع بلادهم وعليا قومهم ، ثم ألق الصباء [٤] على متون الخيل ، فإن كانت لك لحق بك من وراءك ، وإن كانت عليك ألفاك ذلك قد أحرزت أهلك ومالك . قال : والله لا أفعل ذلك ، إنك قد كبرت وكبر عقلك . والله لتطيـعنني يا معشر هوازن أو لأتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري . وكره أن يكون لدريد بن الصمة فيها ذكر أو رأي فقالوا : أطعناك ، فقال دريد بن الصمة : هذا يوم لم أشهده ، ولم يفتني :

يا ليتني فِيها جَذَعْ أَخُبُّ فيهـا وأَضَعْ [٥]
أَقودُ وَطفاءَ الزَّمعْ كأنها شَاةٌ صَـــدعْ [٦]

● قصة الملائكة وعُيون مَالك بن عَوف :

قال ابن إسحاق : ثم قال مالك للناس : إذا رأيتموهم فاكسروا جفون [٧] سيوفكم ثم شدوا شدة رجل واحد . قال : وحدثني أمية بن عبد الله بن عثمان أنه حدث : أن مالك بن عوف بعث عيونًا [٨] من رجاله ، فأتوه وقد تفرقت أوصالهم ،

---

(١) انقض به : زجره .

(٢) الجذعان : مثنى جذع : الشاب الحدث ، ويريد بهما هنا أنهما ضعيفان خاليان عن التجربة .

(٣) البيضة : الجماعة . (٤) الصباء : يقصد بهم المسلمين .

(٥) الجذع : الشاب الحدث ، ويريد به هنا قوة الشباب .

(٦) الوطفاء : طويلة الشعر . والشاة : الوعل . صـــدع : متوسط بين العظيم والحقير .

(٧) أي غطاء سيوفكم وهو الغمد . (٨) أي جواسيس يلتمسون الأخبار .

فقال : ويلكم ! ما شأنكم ؟ فقالوا : رأينا رجالاً بيضًا على خيل بلـــق [١] ، فوالله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى ، فوالله ما رده ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد .

قال ابن إسحاق : ولما سمع بهم نبى الله ﷺ بعث إليهم عبد الله بن أبى حدرد الأسلمى ، وأمره أن يدخل فى الناس ، فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ، ثم يأتيه بخبرهم ، فانطلق ابن أبى حدرد ، فدخل فيهم ، فأقام فيهم ، حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله ﷺ ، وسمع من مالك وأمر هوازن ما هم عليه ، ثم أقبل حتى آتى رسول الله ﷺ ، فأخبره الخبر ، فدعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب ، فأخبره الخــبر فقال عمر : كذب ابن أبى حــــدرد . فقال ابن أبى حدرد : إن كذبتنى فربما كذبت بالحق يا عمر ، فقد كذبت من هو خير منى . فقال عمر : يا رسول الله ، ألا تسمع ما يقول ابن أبى حدرد ؟ فقال رسول الله ﷺ : قد كنت ضالا فهداك الله يا عمر [٢] .

• الرسول ﷺ يستعير أدرع صفوان :

فلما أجمع رسول الله ﷺ السير إلى هــــوازن ليـــلقاهم ذُكر له أن عند صفوان بن أمية أدرعًا [٣] وسلاحاً . فأرســـل إليه وهو يومئذ مشرك فقال : يا أبا أمية ، أعرنا [٤] سلاحك هذا نلق فيه عدونا غدًا ، فقال صـــــفوان : أغصبا يا

---

(١) وهم الملائكة أيد الله بهم المسلمين وأنزلهم لنصرة المسلمين ، ومن المعجزات أن المشركين رأوهم وهم فى صور فرسان على خيل جياد فألقى الله فى قلوبهم الرعب وفروا هاربين وسبق أن أنزل الله الملائكة تقاتل فى صفوف المسلمين يوم بدر مع رسول الله ﷺ وكان هذا هو العون الحق والنصر المبين ، ورأى المشركون أيضًا يومها الملائكة وهم يقاتلونهم فيضربون الواحد منهم ضربة يموت بها ، وهذا وعد الله رسوله الذى وعده حيث قال : ﴿ **وكان حقًا علينا نصر المؤمنين** ﴾ .

(٢) أى كان ضالا فى الجاهلية فهداه الله بالإسلام ، وفى هذا يقول عمر معتزًا بذلك : كنا أذلة فأعزنا الله بالإسلام . وقال عنه النبى ﷺ : « اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين أى عمر بن الخطاب ، أو عمرو بن هشام (أبو جهل) » رجا الرسول ﷺ إسلام أحدهما فهدى الله عمر بن الخطاب فأسلم وأضل عمرو بن هشام فغوى .

(٣) جمع درع : وكذلك دروع .

(٤) أى أقرضنا .

محمد ؟ قال : بل عارية [١] ومضمونة حتى نؤديها إليك ، قال : ليس بهذا بأس ، فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح ، فزعموا أن رسول الله ﷺ سأله أن يكفيهم [٢] حملها ، ففعل .

• خُروج الرسول ﷺ إلى هَوازن :

قال : ثم خرج رسول الله ﷺ ومعه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ، ففتح الله بهم مكة ، فكانوا اثنى عشر ألفاً واستعمل رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس على مكة ، أميرًا على من تخلف عنه من الناس ، ثم مضى رسول الله ﷺ على وجهه يريد لقاء [٣] هوازن .

قصيدة ابن مِرْدَاس : فقال عباس بن مرداس السلمى :

أَصَابتْ العام رعْلاً غَولُ قَومهم ... وَسْطَ البيُوت وَلونُ الغول ألْوانُ [٤]
يَا لَهْفَ أُمِّ كِلابٍ إذْ تَبيتهم ... خَيْلُ ابنُ هَوْذَة لا تُنهى وإنسانُ [٥]
لاَ تَلْفظُوها وشُدُّوا عَقْد ذمَّتكُم ... إنْ ابنَ عَمكُم سَعْد وَدُهمانُ [٦]
لَنْ تَرجعُوهَا وإنْ كَانت مُجَللة ... مَا دَام فى النَّعم المأخوذ ألبانُ
شَنْعَاءُ جُلِل من سَوآتها حضـــن ... وَسَال ذُو شَوغر منها وسلْوانُ [٧]
لَيْستْ بأطيب مما يَشْتَوى حَذَفٌ ... إذْ قَال : كَل شَواءِ العِير جُوْفانُ [٨]

---

(١) أى نستعيرها .

(٢) أى ينقلها لهم .

(٣) أى حربهم .

(٤) رعل : قبيلة من سُليم . وفى الحديث : قنت رسول الله ﷺ شهرًا يدعو على رعل وذكوان وعُصية ، وهم الذين غدروا بأصحاب بئر معونة ، وقد مضى حديثهم فيما تقدم من السيرة . الغول : الداهية .

(٥) إنسان : قبيلة من قيس ثم من بنى نصر . وقيل هم من بنى جشم بن بكر .

(٦) سعد ودهمان : ابنا نصر بن معاوية بن بكر .

(٧) حضن : جبل فى نجد . ذو شوغر وسلوان : واديان .

(٨) حذف : اسم رجل . العير : حمار الوحش ، الجوفان : غرموله (ذكره) .

وفِى هَوازِنَ قَومٌ غَيْرَ أَنْ بهم ... دَاءُ اليمانى فإن لم يَغْدِروا خانُوا

فَيهم أَخٌ لَو وفـوا أَو بر عَهْدهم ... ولَو نهكـناكم بالطعن قد لأنُوا

أَبْلِغْ هَوازِنَ أَعْلاَهَا وأَسْفَلَها ... منى رِسَالة نصْـحٍ فَيِه تِبيانُ

أنِى أَظن رَسولَ الله صَابِحكُم ... جَيْشاً له فى فَضاء الأَرض أركانُ

فِيهم أَخوكم سُليم غَير تَارككُم ... والمسـلمون عِبَادُ الله غسَانُ

وَفِى عضَادته اليمنَى بَنو أَسد ... والأَجْرُبان بَنو عَبْس وذُبْيانُ (١)

تكاد تَرجفُ منه الأرضُ رَهْبَتَهُ ... وفَى مَقْدمِه أَوسٌ وعَثمانُ

قال ابن إسحاق : أوس وعثمان : قبيلا مزينة :

• **قصة الشجرة ذات أنواط :**

قال ابن إسحاق : فحدثنى ابن شهاب الزهرى ، عن سنان بن أبى سنان الدُّؤلى عن أبى واقد الليثى ، أن الحارث بن مالك قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية (٢) ، قال : فسرنا معه إلى حُنين قال : وكانت لكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة خضراء ، يقال لها ذات أنواط ، يأتونها كل سنة ، فيعلقون أسلحتهم عليها ، ويذبحون عندها ، ويعكفون عليها يومًا . قال : فرأينا ونحن نسير مع رسول الله ﷺ سدرة خضراء عظيمة ، قال فتنادينا من جنبات الطريق : يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنـواط كما لهم ذات أنواط . قال رسول الله ﷺ : الله أكبر ، قلتم ، والذى نفس محمد بيده ، كما قال قوم موسى لموسى : ﴿ **اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون** ﴾ (٣) إنها السنن ، لتركبن سَنن مَن كان قبلكم .

• **لقاء هوازن وثبات الرسول ﷺ :**

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصـم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : لما استقبلنا وادى حُنين انحدرنا فى واد من

---

(١) سماهما بالأجربين تشبيها بالأجرب الذى لا يقرب .

(٢) أى أسلموا حديثًا .

(٣) سورة الأعراف الآية : ١٣٨ .

أودية تهامة أجوف خطوط ، إنما تنحدر فيه انحداراً ، قال : وكان فى عماية الصبح ، وكان القوم قد سبقونا إلى الوادى ، فكمنوا لنا فى شعابه وأحنائه ومضايقه ، وقد أجمعوا وتهيئوا وأعدوا ، فوالله ما راعنا ونحن منحطون إلا الكتائب قد شدوا علينا شدة رجل واحد وانشمر [1] الناس راجعين لا يلوى أحد على أحد . وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين ثم قال : أين أيها الناس ؟ هلموا إلىَّ ، أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله ، قال : فلا شىء ، حملت الإبل بعضها على بعض ، فانطلق الناس ، إلا أنه قد بقى مع رسول الله ﷺ نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته .

• من ثبت مع الرسول ﷺ :

وفيمن ثبت معه من المهاجرين أبو بكر وعمر ، ومن أهل بيته على بن أبى طالب، والعباس بن عبد المطلب، وأبو سفيان بن الحارث، وابنه، والفضل بن العباس ، وربيعة بن الحارث وأسامة بن زيد ، وأيمن ابن أم أيمن بن عبيد قُتل يومئذٍ .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قَتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : ورجل من هوازن على جمل له أحمر ، بيده راية سوداء فى رأس رمح له طويل ، أمام هوازن ، وهوازن خلفه ، إذا أدرك طعن برمحه ، وإذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه .

قال ابن إسحاق : فلما انهزم الناس ، ورأى من كان مع رسول الله ﷺ من جفاة أهل مكة الهزيمة ، تكلم رجال منهم بما فى أنفسهم من الضغن ، فقال أبو سفيان بن حرب : لا تنتهى هزيمتهم دون البحر ، وإن الأزلام لمعه فى كنانته . وصرخ جبلة بن الحَنبل [2] ، وهو مع أخيه صفوان بن أمية مشرك فى المدة التى جعل له رسول الله ﷺ : ألا بطل السحر اليوم ! فقال له صفوان : اسكت فض الله فاك فوالله لأن يربّنى رجل من قريش أحب إلىَّ من أن يربنى رجل من هوازن .

شيبة بن طلحة يحاول قتل الرسول ﷺ : قال ابن إسحاق : وقال شيبة بن عثمان بن أبى طلحة ، أخو بنى عبد الدار : قلت : اليوم أدرك ثأرى ، وكان

---

(١) انشمروا : أى رجعوا سراعًا .

(٢) قال ابن هشام : كلدة بن الحنبل ، وذكر ابن هشام أبياتًا لحسان بن ثابت يهجو بها كلدة منها :

رأيت سوادًا من بعيد فراعنى ... أبو حنبل ينزو على أم حنبل

أبوه قتل يوم أُحد ، اليوم أقتل محمداً . قال : فأدرت برسول الله لأقتله ، فأقبل شىء حتى تغشى فؤادى ، فلم أطق ذاك ، وعلمت أنه ممنوع منى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أهل مكة أن رسول الله ﷺ قال حين فصل من مكه إلى حنين ورأى كثرة من معه من جنود الله : لن نغلب اليوم من قلة .

قال ابن إسحاق : وزعم بعض الناس أن رجلاً من بنى بكر قالها .

• النصر بعد الهزيمة :

قال ابن إسحاق : وحدثنى الزهرى ، عن كُثير بن العباس ، عن أبيه العباس ابن عبد المطلب ، قال : إنى لمع رسول الله ﷺ آخذ بحكمة بغلته البيضاء قد شجرتها بها قال : وكنت امرءاً جسيمًا شديد الصوت ، قال : ورسول الله يقول حين رأى ما رأى من الناس : أين أيها الناس ؟ فلم أرَ الناس يلوون على شىء . فقال : يا عباس اصرخ ، يا معشر الأنصار : يا معشر أصحاب السمرة ، قال : فأجابوا : لبيك ! لبيك ! قال : فيذهب الرجل ليثنى بعيره ، فلا يقدر على ذلك فيأخذ درعه ، فيقذفها فى عنقه ، ويأخذ سيفه وترسه ويقتحم عن بعيره ! ويخلى سبيله فيؤم الصوت ، حتى ينتهى إلى رسول الله ﷺ . حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة ، استقبلوا الناس ، فاقتتلوا وكانت الدعوى أول ما كانت يا للأنصار . ثم خلصت أخيرًا : يا للخزرج . وكانوا صبراً عند الحرب ، فأشرف رسول الله ﷺ فى ركائبه . فنظر إلى مجتلد القوم وهم يجتلدون . فقال : الآن حمى الوطيس .

• شَجاعة الإمام على :

قال ابن إسحاق : حدثنى عَاصم بن عمر بن قَتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : بينا ذلك الرجل من هَوازن صاحب الراية على جمله يصنع ما يصنع إذ هوى له على بن أبى طالب رضوان الله عليه ورجل من الأنصار يريدانه ، قال : فيأتيه على بن أبى طالب من خلفه ، فضرب عرقوبى الجمل ، فوقع على عجزه ، ووثب الأنصارى على الرجل ، فضربه ضربة أطن قدمه بنصف ساق ، فانجعف عن رحله ، قال : واجتلد الناس ، فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتفين عند رسول الله ﷺ .

قال : والتفت رسول الله ﷺ إلى أبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وكان ممن صبر يومئذ مع رسول الله ﷺ ، وكان حسن الإسلام حين أسلم ، وهو آخذ بثفر بغلته ، فقال : من هذا ؟ قال : أنا ابن أمك يا رسول الله .

• أُمُّ سُلَيْم فى المعركة :

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر أن رسول الله ﷺ التفت فرأى أم سُليم بنت مَلْحان (١) وكانت مع زوجها أبى طلحة (٢) وهى حازمة وسطها ببُرد لها ، وإنها لحامل بعبد الله بن أبى طلحة ، ومعها جمل أبى طلحة وقد خشيت أن يعزها الجمل ، فأدنت رأسه منها ، فأدخلت يدها فى خزامته مع الخطام ، فقال لها رسول الله ﷺ : أم سليم ؟ قلت : نعم ، بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، اقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك ، فإنهم لذلك أهل ، فقال رسول الله ﷺ : أو يكفى الله يا أم سُليم ؟ قال : ومعها خنجر ، فقال لها أبو طلحة : ما هذا الخنجر معك يا أم سليم ؟ قالت : خنجر أخذته ، إن دنا منى أحد من المشركين بعجته به قال : يقول أبو طلحة : ألا تسمع يا رسول الله ما تقول أم سليم الرُّميصاء .

قال ابن إسحاق : وقد كان رسول الله ﷺ ، حين وجه إلى حُنين ، قد ضم بنى سليم الضحاك بن سفيان الكلابى ، فكانوا إليه ومعه ، ولما انهزم الناس قال مالك بن عوف يرتجز بفرسه :

أَقدم محاج إنه يــــومٌ نكُرْ	مثلى على مثلك يحمى ويَكُر
إذَا أُضيعَ الصف يَوما والدُّبرَ	ثُم احزَألَّتْ زُمرٌ بَعْدَ زُمَر (٣)
كَتائبُ يكلُّ فيهـــن البَصَر	قَدْ أطعن الطَّعْنة تَقْذى بالسبر(٤)
حَين يذم المستـــكين المنجحر	وأطعن النَّجلاء تَعوِى وتَهِرْ (٥)
لَها من الجـــوف رَشَاش منْهمر	تفهق تارات وحينا تنْفجرْ (٦)

(١) واسمها : مليكة ، ويقال : رميلة ، وقيل : سهيلة .

(٢) واسمه زيد بن سهل بن الأسود بن حرام .

(٣) احزألت : ارتفعت .

(٤) السبر : جمع سبير وهو الفتيل يسبر به الجرح .

(٥) النجلاء : الطعنة الواسعة . تعوى وتهر : أى يسمع لخروج الدم منها أصوات كالعواء والهرير .

(٦) تفهق : تنفتح .

وثَعْلَبُ العَامِلِ فيـــها مُنْكَسِرُ ... يا زيد يابن هَمْهَم أين تفرْ [(١)]

قَد نفَدَ الضَّرب وقـد طَالَ العمر ... قد علم البيض الطويلات الخُمرْ

إِنى فى أمثـــالها غير غَمِرِ ... إذ تَخرج الحاصن من تحت السترْ

• قصة أبى قَتادة وسَلَبُه [(٢)] :

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، أنه حدث عن أبى قَتادة الأنصارى قال : وحدثنى من لا أتهم من أصـحابنا ، عن نافع مـولى بنى غفار أبى محمد بن أبى قتادة ، قال : قال أبو قتادة : رأيتُ يومَ حُنين رجلين يقتتلان ، مسلمًا ومشركًا ، قال : وإذا رجل من المشركين يريد أن يعين صاحبه المشرك على المسلم . قال : فأتيته ، فضربت يده فقطعتها ، وأعتنقنى بيده الأخرى ، فوالله ما أرسلنى حتى وجدت ريح الدم [(٣)] وكاد يقتلنى فلولا أن الدم نزفه لقتلنى ، فسقط ، فضربته فقتلته ، وأجهضنى عنه القتال ، ومر به رجل من أهل مكة فسلبه [(٤)] ، فلما وضعت الحرب أوزارها وفرغنا من القوم ، قال رسـول الله ﷺ : من قتـل قتيلاً فله سلبه [(٥)] . فقلت : يا رسول الله ، والله لقد قتلت قتيلاً ذا سلب ، فأجهضنى عنه القتال ، فما أدرى من استلبه فقال رجل من أهل مكة : صدق يا رسول الله ، وسلبُ ذلك القتيل عندى ، فأرضه عنى من سَلبه [(٦)] ، فقال أبو بكـر الصديق ﷺ : لا والله ، لا يرضيه منه ، تعمد إلى أسـد من أسد الله . يقاتل عن دين الله ، تقاسمه سلبه ؟! اردد عليه سلب قتيله ، فقال رسول الله ﷺ : صدق فاردد عليه سلبه فقال أبو قتادة : فأخذته منه ، فبعته ، فاشتريت بثمنه مخرَفًا [(٧)] فإنه لأول مال اعتقدته .

---

(١) الثعلب : عصا الرمح الداخلة فى السنان . العامل : أعلى الرمح .

(٢) السلب : هو ما يكون مع المحارب من متاع وأموال وسلاح .

(٣) قال ابن هشام : يروى : ريح الموت . (٤) أى أخذ متاعه وما معه .

(٥) وصار هذا فى عهد الرسول ﷺ وبعده أن من قتل قتيلاً فى المعركة فله أن يأخذ متاعه وأمواله وسلاحه .

(٦) يريد أن يقاسمه سلبه أو يأخذ منه شيئًا .

(٧) مخرَف بفتح الراء : نخلة واحدة أو نخلات أقل من العشرة ، والمخوف بكسر الميم الآلة التى تخترف بها الثمرة .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم ، عن أبى سلمة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة عن أنس بن مالك ، قال : لقد استلب أبو طلحة يوم حنين وحده عشرين رجلا .

الملائكة تحضر القتال : قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاق بن يسار ، أنه حُدث عن جبير بن مطعم ، قال : رأيت - قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون - مثل البجاد (١) الأسود أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم ، فنظرت ، فإذا نمل أسود مبثوث ، قد ملأ الوادى لم أشك أنها الملائكة ، ثم لم يكن إلا هزيمة القوم .

قال ابن إسحاق : ولما هزم الله المشركين من أهل حُنين ، وأمكن رسوله ﷺ منهم ، قالت امرأة من المسلمين :

قد غلبتْ خيل الله خيل اللات　　والله أحـــق بالثبـــات

قال ابن إسحاق : فلما انهزمت هَوازن استحر القتل من ثقيف فى بنى مالك ، فقُتل منهم سبعون رجلا تحت رايتهم ، فيهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث ابن حبيب ، وكانت رايتهم مع ذى الخمار (٢) ، فلما قتل أخذها عثمان بن عبد الله ، فقاتل بها حتى قتل .

قال ابن إسحاق : وأخبرنى عامر بن وهب بن الأسـود ، قال : لما بلغ رسول الله ﷺ قتله ، قال : أبعده الله ، فإنه كان يبغض قريشا .

• قصة الغلام الأغرل (٣) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس : أنه قتل مع عثمان بن عبد الله غلام له نصرانى أغرل ، قال : فبينا رجل من الأنصار يسلب قتلى ثقيف ، إذا كشف العبد يسلبه ، فوجده أغرل . قال : فصاح بأعلى صوته : يا معشر العرب : يعلم الله أن ثقيفا غرل . قال المغيرة بن شعبة : فأخذت بيده ، وخشيت أن تذهب عنا فى العرب ، فقلت : لا تقل ذاك ، فداك أبى وأمى ، إنما هو غلام لنا نصرانى . قال ثم جعلت أكشف له عن القتلى ، وأقول له : ألا تراهم مختنين كما ترى .

---

(١) البجاد : يعنى الكساء من النمل مبثوثا .　　(٢) هو عوف بن الربيع .

(٣) الأغرل : غير المختتن .

• فرار قارب وقومه :

قال ابن إسحاق : وكانت راية الأحلاف مع قارب بن الأسود ، فلما انهزم الناس أسند رايته إلى شجرة ، وهرب هو وبنو عمه وقومه من الأحلاف ، فلم يُقتل من الأحلاف غير رجلين : رجل من غيرة ، يقال له : وهب ، وآخر من بنى كُبة ، يقال له : الجلاَّح ، فقال رسول الله ﷺ حين بلغه قتل الجلاح : قتل اليوم سيد شباب ثقيف ، إلا ما كان من ابن هنيدة ، يعنى بابن هنيدة الحارث بن أويس .

• شعر ابن مرداس :

فقال عباس بن مرداس السلمى يذكر قارب بن الأسود وفراره من بنى أبيه ، وذا الخمار وحبسه قومه للموت :

أَلا مـــن مُبلغ غَيلانَ عَنِّى ... وَسوف إخال يأتيهُ الخَبِير (١)

وَعروةَ إنما أهـــدى جوابًا ... وقَولاً غير قولكـــما يَسيرُ

بأن محـــمدًا عبدٌ رسولٌ ... لِربٍّ لا يضِلُّ ولا يَجورُ

وجَدناه نبيًّا مِثْلَ مُوســى ... فَكُل فتًى يَخــايرهُ مَخيرُ

وَبِئس الأمر أمر بَنِـى قَسِىٍّ ... بوج إذ تقسمت الأُمورُ (٢)

أَضاعوا أمرهـــم ولكلِّ قومٍ ... أميرٌ والـــدوائر قد تدورُ

فجئنا أُســـد غابات إليهم ... جنود الله ضاحـــية تسيرُ

تؤم الجمع جمـــع بَنى قسى ... على حنـــق نكاد له نَطيرُ

وأقسم لو هم مكـــثوا لسرنا ... إليهم بالجنود ولم يغوروا

فكنا أســـد لية ثَم حتى ... أبحناها وأســلمت النُّصُورُ

ويوم كان قـــبل لَدَى حُنين ... فَأقلع والـــدماءُ بهَ تَمورُ

مَن الأيام لَم تسمـــع كيومٍ ... ولم يسمـــع به قوم ذكور

---

(١) الفعل المستقبل هو : يأتيه ، ولكن حرف « سوف » دخل على إخال وبرغم هذا فإن ما يدل عليه الاستقبال هو الفعل الثانى « يأتيه » .

(٢) قسى : اسم ثقيف ، بوج : واد بالطائف قبل حنين .

قَتَلْنَا فــــى الغُبَار بَنِى حَطِيط ... عَلَى رَاياتهــــا والخَيل زورُ (١)
وَلَم يَكُ ذُو الخمار رئيس قَوم ... لَهم عَقْل يُعاقِب أو مكيرُ
أَقام بهم على سُنَن المَنَايا ... وَقَد بانت لمبصــــرها الأمورُ
فَأفلت منَ نَجا منهم جَريضًا ... وقتل منهــــم بشر كثيرُ (٢)
وَلا يغنى الأُمور أَخو التوانى ... ولا الغلق الصُّريرة الحصورُ (٣)
أَحانهــــم وحَان ومَلَّكُوه ... أَمُورهم وأفْلتت الصُّقُورُ
بَنو عَوْف تميح بهــــم جِياد ... أَهين لَها الفَصافص والشعيرُ (٤)
فَلولا قَارب وَبنــــو أبيه ... تَقَسَّمت المزَارع والقُصُــــورُ
وَلكن الرِيَاسة عَمــــموها ... على يمن أشــــار به المشيرُ
أَطاعوا قَاربا ولهــــم جُدود ... وأحلام إلــــى عِز تصيرُ
فَإن يَهدوا إلى الإسلام يلفوا ... أنوف الناس مَا ســــمر السميرُ
وَإن لم يَسلــــموا فهم أذان ... بَحربِ اللهِ ليــــس لهم نَصير
كَما حكَّتْ بنى سعــــد وحرب ... برَهط بنى غزية عنقفيرُ (٥)
كأن بنى معــاوية بن بكــــر ... إلى الإسلام ضــــائنة تخورُ
فَقلنا أسلــــموا إنا أخوكم ... وقد برأت من الإحن الصدورُ
كَأن القوم إذ جَاءوا إلينــــا ... من البَغضاء بعد السلــــم عورُ

مقتل دُريد : قال ابن إسحاق : ولما انهزم المشركون ، أتوا الطائف ومعهم

---

(١) زور : مائلة .

(٢) الجريض : من يغص بريقه . والجمع : جرضى .

(٣) الغلق : ضيق الخلق . الصريرة : مصغر الصرورة وهو الذى لم يتزوج ، والحصــور : الذى لا يأتى النساء .

(٤) تميح : تمشى مشيا مستويا . الفصافص : جمع فصفصة : النبات الذى تأكله المواشى رطبا .

(٥) العنقفير : الداهية .

مالك بن عوف ، وعسكر بعضهم بأوطاس ، وتوجه بعضهم نحو نخلة ، ولم يكن فيمن توجه نحو نخلة إلا بنو غيرة من ثقيف ، وتبعت خيل رسول الله ﷺ من سلك فى نخلة من الناس ، ولم تتبع من سلك الثنايا ٠

فأدرك ربيعة بن رفيع بن ثعلبة بن ربيعة بن يربوع بن سمال بن عوف بن امرئ القيس ، وكان يقال له ابن الدغنة وهى أمه ، فغلبت على اسمه أدرك دُريد بن الصمة ، فأخذ بخطام جمله وهو يظن أنه امرأة ، وذلك أنه فى شجار له ، فإذا برَجُل فأناخ به فإذا شيخ كبير ، وإذا هو دُريد بن الصمة ولا يعرفه الغـلام ، فقال له دُريد : ماذا تريد بى ؟ قال : أقتلك ، قال : ومن أنت ؟ قال : أنا ربيعة بن رفيع السلمى ، ثم ضربه بسيفه ، فلم يغن فيه شيئًا ، فقال : بئس ما سلحتك أُمك ! خذ سيفى هذا من مؤخر الرحل ، وكان الرحل فى الشجار ، ثم اضرب به ، وارفع عن العظام ٠ واخفض عن الدماغ ، فإنى كنت كذلك أضرب الرجال ، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دُريد بن الصمة ، فُربَّ والله يوم قد منعت فيه نساءك ، فزعم بنو سليم أن ربيعة قال لما ضربه فوقع تكشف ، فإذا عجانه [1] وبطون فخذيه مثل القرطاس ، من ركوب الخيل أعراء ، فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه ، فقالت : أما والله لقد أعتق أمهات لك ثلاثاً ٠

● **شعر عَمرة :**

فقالت عَمْرة بنت دريد فى قتل ربيعة دريداً :

لَعمرُك ما خشيت على دُريد ... ببَطن سُميرة جيش العنَاق [2]
جَزى عَنا الإله بَنى سُلَيم ... وعقـــتهم بما فَعلوا عِقَاقِ
وأسقانا إذا قَدْنا إليهـــم ... دمَاء خيَارهم عنـــد التلاقِى
فَرُب عظيمة دافعتْ عَنهـــم ... وقَد بلغتْ نُفوسهم التراقى
وَرُب كَرِيمة أعتقـــت منهم ... وأخرى قد فككت من الوثَاقِ
ورُب منوه بـــك من سُلَيم ... أجبت وقد دعاك بلا رماق [3]

---

(١) عجانه : أى استه ٠

(٢) العناق : الأمر الشديد ٠

(٣) الرماق : بقية الحياة ٠

فكان جَزاؤنا منهـــم عقوقًا وهَمًا ماع مـــنه مخ ساقِى
عفَّتْ آثار خَيْلك بعـــد أين بذِى بقر إلى فيف النهاق [١]

• استشهاد أبى عامر الأشعرى :

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله ﷺ فى آثار من توجه قبـل أوطاس أبا عامر الأشعرى ، فأدرك من الناس بعض من انهزم ، فناوشـــوه القتال فرمى أبو عامر بسهم فقتل ، فأخذ الراية أبو موسى الأشعرى ، وهو ابن عمه فقاتلهم ، ففتح الله على يديه وهزمهم ، فيزعمون أن سلمة بن دُريد هو الذى رمى أبا عامر الأشعرى بسهم ، فأصاب ركبته ، فقتله ، فقال :

إنْ تَسألُوا عنِّى فَإنَى سَلَمهْ ابنُ سَمادِير لِمن تَوسمهْ
أَضْرِب بِالسَّيفِ رءوس المُسْلِمه

وسمادير أمه ·

واستحر القتل من بنى نصر فى بنى رئاب ، فزعموا أن عبد الله بن قيس - وهو الذى يقال له ابن العوراء ، وهو أحد بنى وهب بن رئاب - قال : يا رسول الله هلكت بنو رئاب ، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال : اللهم اجبر مصيبتهم ·

وخرج مالك بن عوف عند الهزيمة ، فوقف فى فوارس من قومه ، على ثنية من الطريق ، وقال لأصحابه : قفوا حتى تمضى ضعفاؤكم ، وتلحق أخراكم · فوقف هناك حتى مضى من كان لحق بهم من منهزمة الناس ، فقال مالك بن عوف فى ذلك :

ولَولا كَرتان علــى مُحاج لضَاق على العَضَارِيط الطريق [٢]
ولَولاَ كَرٌّ دَهمان بـــن نَصْر لَدى النَخلاتِ مُندفع الشديق [٣]
لآبَتْ جَعفر وبـــنو هلاَل خَزايا مُحقبينَ على شقوق [٤]

---

(١) ذو بقر : اسم مكان ، فيف : قفر ، النهاق : موضع ·
(٢) مُحاج : فرس مالك - العضاريط : الأجراء ·
(٣) الشديق : واد من وديان الطائف ·
(٤) محقبين : مردفين ، شقوق : أى على مشقة ·

شعر سَلَمَة :

قال ابن إسحاق : وقال سلمة بن دُرَيد وهو يسوق بامرأته حتى أعجزهم :

نَسيتَنى ما كنتُ غير مُصـــابة   وقد عرفتُ غداة نعــف الأطرب [(١)]

أنى منعتك والركـــوبُ مُحببٌ   ومَشيتُ خَلفك مِثل مَشى الأنكب [(٢)]

إذ فَرَّ كُل مهـــذَّبٍ ذى لِمَّةٍ   عَن أُمِّه وخليله لــم يعقـــب

المنهى عن قتلهم : قال ابن إسحاق : وحدثنى أصحابنا : أن رسول الله ﷺ مر يومئذ بامرأة وقد قتلها خالد بن الوليد ، والناس متقصفون [(٣)] عليها فقال : ما هذا فقالوا : امرأة قتلها خالد بن الوليد : فقال رسول الله ﷺ لبعض من معه : أدرك خالدًا ، فقل له : إن رسول الله ينهاك أن تقتل وليدًا أو امرأة أو عسيفا [(٤)] .

الشيماء أُخت الرسول : قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض بنى سعد بن بكر : أن رسول الله ﷺ قال يومئذ : إن قدرتم على بجاد ، رجل من بنى سعد ابن بكر ، فلا يفلتنكم ، وكان قد أحدث حدثاً ،فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله ، وساقوا معه الشيماء ، بنت الحارث بن عبد العزى أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة ، فعنفُوا عليها فى السياق : فقالت للمسلمين : تعلموا والله أنى لأخت صاحبكم من الرضاعة ، فلم يصدقوها حتى أتوا بها إلى رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق : فحدثنى يزيد بن عبيد السعدى ، قال : فلما انتهى بها إلى رسول الله ﷺ ، قالت : يا رسول الله ، إنى أختك من الرضاعة ، قال : وما علامة ذلك؟ قالت عضة عضضتنيها فى ظهرى وأنا متوركتك قال : فعرف رسول الله ﷺ العلامة فبسط لها رداءه . فأجلسها عليه ، وخيرها ، وقال : إن أحببت فعندى محبَّة مكرمة ، وإن أحببت أن أمتعك [(٥)] وترجعى إلى قومك فعلت ، فقالت بل تمتعنى وتردنى إلى قومى . فمتعها رسول الله ﷺ ، وردها إلى قومها .

---

(١) النعف : أسفل الجبل ، الأطرب : الجبل الصغير .

(٢) الأنكب : المائل إلى [illegible]

(٣) متقصفون : مجتمعون فى ازدحام .

(٤) العسيف : الأجير ، وهذا من سماحة الإسلام أن لا يُقتل من لا ذنب له ولا الآمنون ومن ليسوا فى أرض المعركة .

(٥) أى أعطيك ما يمتعك وما يكون فيه انتفاعك .

فزعمت بنو سعد أنه أعطاها غلاما له يقال له مكحول وجارية ، فزوجت أحدهما الأخرى ، فلم يزل فيهم من نسلهما بقية (١) .

● شُهداء يوم حُنَين :

قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من استشهد يوم حُنين من المسلمين .

من قريش ثم من بنى هاشم ، أيمن بن عُبيد .

ومن بنى أسد بن عبد العزى : يَزيد بن زَمْعة بن الأسود بن المطلب بن أسد جمح به فرس له يقال له الجناح ، فقُتل .

ومن الأنصار : شراقة بن الحارث بن عدى ، من بنى العجلان .

ومن الأشعريين : أبو عامر الأشعرى .

● سَبايا حُنَيْن وأموالها :

ثم جمعت إلى رسول الله سبايا حنين وأموالها ، وكان على المغانم مسعود بن عمرو الغفارى ، وأمر رسول الله ﷺ بالسبايا والأموال إلى الجعرانة فحبست بها .

● شعر عباس بن مرداس :

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مرداس فى يوم حُنين :

إِنى والسوابحُ يوم جَمْعٍ ... وما يتلو الرسول من الكتابِ
لَقد أحببتُ ما لقيتْ ثقيف ... بجنب الشِّعب أمس من العذابِ
هُمُ رأس العدو من اهل نجدٍ ... فقتلهم ألذُّ من الشرابِ
هَزمنا الجمع جمع بَنى قَسى ... وحكت بركها ببنى رئابِ (٢)
وَصِرْما من هِلال غَادَرتهم ... بأوطاس تعفر بالترابِ (٣)
ولو لاقين جمع بَنى كلاب ... لقام نساؤهم والنقع كابى

---

(١) قال ابن هشام : وأنزل الله عز وجل فى يوم حنين : ﴿ لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم ﴾ ، إلى قوله :.: ﴿ وذلك جزاء الكافرين ﴾ (التوبة : الآية ٢٥ ، ٢٦) .

(٢) البرك : الصدر ، ويريد حكت بركها : شدة وطأة الحرب .

(٣) الصرم : الجماعة من الناس أو البيوت المنقطعة عن الحى .

رَكضنا الخيل فيـــهم بين بس ... إلى الأورال تنحط بالنهابِ (١)

بذى لجِب رَســـول اللهِ فِيهم ... كَتِيبتهُ تعرض لِلضــــرابِ

• ردُّ ابن العفَيف :

فأجابه عطية بن عفيف النصرى فقال :

أفَاخِرةٌ رِفاعة فـــى حُنَيْن ... وعَبَّاس بْن رَاضعة اللجابِ (٢)

فَإنك والفخارُ كذاتِ مرط ... لربتها وترفل فى الإهـــابِ

قال ابن إسحاق : قال عطية بن عفيف هذين البيتين لما أكثر عباس على هوازن فى يوم حُنين . ورفاعة من جهينة .

• شعر عبَاس بن مِرْداس :

قال ابن إسحاق : وقَال عباس بن مِرْداس أيضًا :

يَا خاتَم النُّبَّاءِ إنكَ مُرسَلٌ ... بالحقِّ كُل هُدَى السبيل هداكَا

إنَّ الإله بَنَى عَليك مَحبةً ... فى خَلْقه ومُحمدًا سمَّاكَا

ثُم الذين وفُّوا بما عاهدتهم ... جُنْدٌ بَعَثْتَ عليهم الضَحَّاكَا

رَجُلاً به ذرب السلاح كأنه ... لما تكنفه العدو يَراكَا (٣)

يَغشى به هام الكُماة ولو ترى ... منه الذى عاينتَ كان شَفَاكا

وبنو سُليم معنقون أمامه ... ضربا وطعنا فى العدو دَرَاكَا (٤)

يمشونَ تحت لِوائه وكأنهم ... أسدُ العَرين أردن ثم عَراكا (٥)

ما يرتجون من القَريبِ قَرابةً ... إلا لطاعة ربهم وهَواكَا

هَذِى مَشاهدُنَا التى كانت لنا ... مَعروفَةً ووليــــنا مولاكَا

---

(١) البس والأورال : مكانان . تنحط تخرج أنفاسها عالية .

(٢) اللجاب : العنزة (الماعز) التى لبنها قليل .

(٣) الذرب : الحدة .

(٤) معنقون : مسرعون ، درك : متتابع .

(٥) العراك : المدافعة .

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مرداس أيضًا :

نَصَرْنَا رسول الله من غضب له ... بألف كَمِىٍّ لا تُعَد حَوَاسِرهْ [1]
حَمَلنا له فى عامل الرمح رايةً ... يذودُ بها فى حومة الموتِ نَاصِرهْ
ونحن خَضَبناها دمًا فهو لونها ... غَداة حُنين يوم صَفوان شَاجرة [2]
وكُنا على الإســـلام مَيْمَنة لهُ ... وكان لنا عَقْدُ اللواءِ وشَاهِرُهْ
وكُنا له دون الجنـــود بِطَانَةً ... يُشَـــاوِرُنَا فِى أمْرِه ونُشَاوره
دَعَانا فَســـمَّانا الشِّعَار مقدمًا ... وكُنا له عونًا على من يُنَاكِرهْ [3]
جَزى اللهُ خيرًا من نَبِىٍّ محمدًا ... وأيَّدهُ بالنـــصرِ واللهُ نَاصِرُهْ

• شعر ضَمْضَم :

قال ابن إسحاق : وقال ضمضم بن الحارث بن جشم بن عبد بن حبيب بن مالك بن عوف بن يقظة بن عُصية السلمى فى يوم حنين : وكانت ثقيف أصابت كنانة ابن الحكم بن خالد بن الشريد ، فقتل به محجنا وابن عم له ، وهما من ثقيف :

نحنُ جلبنا الخيل من غير مجلب ... إلى جرش من آهل زيان والفم [4]
نقتلُ أشـــبال الأسودِ ونبتغى ... طواغى كانت قبلـــنا لم تُهدمِ
فَإن تفخروا بابن الشـــريدِ فإننى ... تركتُ بوج مأتمـــا بعد مأتَمِ
أبأتهما بابن الشـــــريد وغرَّهُ ... جواركم وكان غـــير مُذَمَّمِ
تُصيبُ رجالاً من ثقيـــف رِمَاحنَا ... وأسيافنا يُكْلِمنهم كـــل مُكْلَمِ

* شعر مالك بن عوف :

قال ابن إسحاق : وقال مالك بن عوف وهو يعتذر يومئذ من فراره :

(١) الحواسر : من لا دروع عليهم .
(٢) شاجره : خالطه بالرمح .
(٣) الشعار : الثياب التى تلى الجسد ، كناية عن قرب الحاشية .
(٤) الحرش : من مخاليف اليمن من جهة مكة .

مَنع الرُّقادَ فما أغمـــض ساعةً نعَم بأجزاع الطـريق مُخَضرم [1]
سَائِل هوازن هل أَضرَّ عدوها وأعين غارمــــها إذا ما يَغرم
وكتيبةُ لبســـتــها بكتيبةٍ فئتين منها حاســـر وَملأمِ
وَمُقدم تعيا النفـــوس لضيقه قدمته وشهـــود قَومى أعلم [2]
فَوردته وتركت إخـــوانًا له يردون غمـــرته وغمرته الدم
فإذا انجلت غَمـــراته أورثنى مجد الحيـــاة ومجد غنم يقسمِ
كلفتمـــونى ذنب آل محمد والله أعلـــم من أعق وأظلمَ
وخذلتمـــونى إذ أقاتل واحدًا وخذلتمونـــى إذ تقاتل خثْعم
وإذا بَنيتُ المجـــدَ يهدمُ بعضكم لا يستـــوى بانٍ وآخر يهدمُ
وأقب مخـــماص الشتاء مسارع فى المجد ينمى للعلا متكرمُ [3]
أكرهتُ فيـــه ألة يزنية سحماء يقدمها سنان سلجمُ [4]
وتركتُ حنّتهُ تـــرد وليه وتقول ليس على فلانة مقدمُ [5]
ونصبتُ نفـــسى للرماح مدججًا مثل الدرية تستحل وتشرم [6]

* **شعر رجل من هوازن :**

قال ابن إسحاق : وقال قائل فى هوازن أيضًا ، يذكر مسيرهم إلى رسول الله ﷺ مع مالك بن عوف بعد إسلامه :

أَذكر مَسيرهُم للناس إذْ جَمعوا ومَالك فَوقه الرايات تخَتفقُ
ومَالك مَالك ما فَوقَهُ أحدا يوم حُنين عليه التاج يأتلقُ

(١) النَّعَم : الإبل ، المخضرمة : مقطوعة آطراف الآذان .
(٢) المقدم : الموضع الذى لا يتقدم فيه إلا الأبطال .
(٣) الواقب : ضامر الخصر ، المخماص : ضامر البطن .
(٤) ألة : الحربة يزنية،منسوبة إلى ذى يزن الحميرى أحد ملوك حمير،سحماء: سوداء .
(٥) حنته : زوجته ؛ سميت بذلك لأنها تميل إليه وهو يميل إليها .
(٦) الدرية : الدريئة ، وهى حلقة تنصب فيتعلم عليها الطعن .

حتى لقوا اليأس حين البأس يَقدمهم ... عليهم البيض والأبدانُ والدرقُ
فَضاربوا الناس حتى لم يَروا أحداً ... حول النبى وحتى جَنه الغَسَقُ
ثَمَّت نزل جبريل ينصرهم ... من السَّماء فَمهْزُومٌ ومعتنقُ (١)
مِنَّا ولو غَيْر جِبْريل يُقاتلنَا ... لمنعتنا إذا أسيافنا العتقُ
وفاتنا عمر الفاروقُ إذ هزموا ... بطعنة بل منها سَرجه العَلَقُ (٢)

● شعر ابن وهْب فى الرد على ابن ثواب :

قال ابن إسحاق : فأجابه عبد الله بن وهب رجل من بنى تميم ، ثم من بنى أسيد ، فقال :

بشَرط اللهِ نَضْربُ من لَقِينا ... كَأَفْضَلِ ما رَأيت من الشُروطِ
وكنَا يا هَوازن حينَ نَلقى ... نيل الهَام من علق عَبِيطِ
يَجمعكم وجَمع بنى قَسى ... نَحك البَرك كالورق الخبيطِ (٣)
أصبنا من سُراتكمُ وملنا ... نقتل فى المباين والخليط
به الملتاث مفترش يديه ... يمج الموت كالبكر النحيطِ (٤)
فإن تك قيس عيلان غضابا ... فلا ينفك يرغمهم سعوطى

*** شعر خديج بن العوجاء النصرى :**

وقال خُدَيج بن العَوْجاء النِصرى :

لَما دنَونا من حُنَيْنٍ ومَائه ... رَأينا سوادًا منكر اللون أَخْصَفَا (٥)
بملمومة شَهباءَ لو قَذفوا بِها ... شَماريخ من عَزوى إذن عَاد صَفْصَفَا(٦)

(١) المعتنق : الأخير . (٢) العلق : الدم .

(٣) الورق الخبيط : الذى ضرب بالعصا ليسقط .

(٤) الملتاث : اسم رجل ، البكر : الفَتِىُّ من الإبل ، النحيط : من يردد النفس فى صدره فتسمع له صوتًا .

(٥) سوادًا : أشخاصًا . الأخصف : الملون .

(٦) الملمومة : الكتيبة المجتمعة . شهباء : كثيرة السلاح . الشماريخ : أعالى الجبال . صفصفا : مستويا بالأرض .

ولو أنْ قَومى طاوعتنى سُرَاتهم إذن مَا لقينا للعارِض المتكَشِّفَا (١)

إذَا ما لقينا جُنْد آل مُحمدٍ ثَمانين ألفا واستمدوا بخندفَا (٢)

ذكر غَزْوة الطائف (٣) بعد حُنَين فى سنة ثمان

ولما قدم فَل (٤) ثقيف الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها ، وصنعوا الصنائع للقتال .

ولم يشهد حُنينا ولا حصار الطائف عروة بن مسعود ، ولا غيدن بن سلمة ، كانا بجرش ، يتعلمان صنعة الدبابات والمجانيق والضبور (٥) .

ما قيل من الشعر فى غزوة الطائف : ثم سار رسول الله ﷺ إلى الطائف حين فرغ من حُنين ، فقال كعب بن مالك ، حين أجمع رسول الله ﷺ السير إلى الطائف :

*** شعر كعب بن مالك :**

قضينا من تِهامَة كل رَيبٍ وخَيبر ثم أجمعنا السيُوفَا (٦)

نُخَيِّرها ولو نَطقَتْ لقَالت قواطِعهن : قو دَوْسا أو ثَقيفَا

---

(١) العارض : السحاب . المتكشف : الواضح . يشبه به جنود المسلمين .

(٢) خندف : اسم قبيلة .

(٣) وأصل تسميتها كما ذكر بعض أهل النسب أن الدمون بن الصدف ، واسم الصدف ملك بن مالك بن مرتع بن كندة من حضرموت أصاب دماً من قومه ، فلحق بثقيف ، فأقام فيهم ، وقال لهم : ألا أبنى لكم حائطاً يطيف ببلدكم ، فبناه فسمى به الطائف ، وذكره البكرى هكذا قال : وإنما هو الدمون بن عبد بن مالك بن دهقل ، وهو من الصدف ، وله ابنان أدركا النبى - ﷺ وبايعاه ، اسم أحدهما : الهميل ، والآخر : قبيصة ، ولم يذكرهما أبو عمر بن عبد البر فى الصحابة ، وذكرهما غيره .

(٤) الفل : بقية الجيش المنهزم .

(٥) الدبابة : آلة من آلات الحرب يدخل فيها الرجال فيدبون بها إلى الأسوار لينقبوها . والمنجنيق : آلة حربية من آلات الحصار ترمى الحجارة وغيرها من القذائف وجمعها مجانق ومجانيق ومنجنيقات . والضبور : مثل رءوس الأسقاط يتقى بها فى الحرب عند الانصراف ، وفى العين : الضبر جلود يغشى بها خشب يتقى بها فى الحرب .

(٦) أجمعنا : أرحنا .

فلست لحاضن إنْ لــم تَروها ... بَساحة دَاركـــم منا ألوفا
وننتزع العروش ببطـــن وَجٍّ ... وتَصبح دُوركم منكـــم خلوفًا
وَيأتيكم لنَا سُـــرعان خَيل ... يغَادر خلفَه جَمـــعا كثِيفا
إذا نَزلوا بسَاحتـــكم سَمعتم ... لها مما أَناخ بهـــا رَجيفاً
بَأيديهم قَواضِـــب مُرْهفات ... يزرن المصـــطلين بهَا الحتوفَا
كأمثال العقَائق أخلـــصتها ... قُيون الهنـــد لم تضرب كتيفا (١)
تَخال جَدية الأبطـــال فيهمْ ... غَداة الزَّحـــف جَاديا مدوفَا (٢)
أَجِدهُم أَليـــس لهم نَصيح ... من الأقـــوامِ كان بنا عَريفَا (٣)
يَخبرهـــم بَأنا قَد جَمعنا ... عتَاق الخَيـــل والنجبِ الطروفَا (٤)
وَأنا قَدْ أتينـــاهُم بِزَحْفٍ ... يُحيْطُ بَســور حَصنهم صفُوصَا
رَئيســـهم النَّبىُّ وكَان صَلبًا ... نَقىَّ القَلـــبِ مُصطبرًا عَزوفَا
رَشيدُ الأمـــرِ ذُو حكم وَعلمٍ ... وَحِلم لم يكـــن نَزقا خَفيفَا
نُطيع نَبينا ونطـــيع رَبًّا ... هو الرحمـــنُ كان بنا رَءوفَا
فَإن تلقـــوا إلينا السلم نقبل ... ونجعلكم لنا عـــضدًا وريفًا (٥)
وإن تَأبـــوا نُجاهدكُم ونَصبرْ ... ولا يك أمـــرنا رعشًا ضعيفًا (٦)
نُجالد ما بقيـــنا أو تُنيبوا ... إلى الإســـلام إذعانًا مُضيفًا (٧)
نُجاهد لا نُبالـــى من لَقينا ... أأهلكنـــا التِّلادَ أم الطَّريفَا (٨)

(١) الكتيف : الصفائح الحديد .

(٢) الجدية : الدماء السائلة . الجادى : الزعفران . مدوف : مخلوط .

(٣) أجدهم : أجد منهم . عريفا : عارفا .

(٤) الطروف : نجيبة الأصل .

(٥) الريف فى الأصل : الأرض المخصبة المنزرعة خارج المدن والمراد أن يجعلهم مساعدين لهم مستمدين عيشهم من ريفهم .

(٦) الرعش : المتقلب غير الثابت .

(٧) مضيف : ملجئ .

(٨) التلاد : المال القديم ، الطريف : المال المستحدث .

وكم من مَعشـــــر ألبوا علينا صَميمَ الجذم منهـــــم والحليفَا
أتونا لا يـــــرون لهم كَفاء فَجدَّعنا المســـــامع والأُنوفَا
بِكل مُهَنَّدٍ ليـــــن صَقيل نَسوقهـــــم بها سوقًا عنيفًا
لأمر اللهِ والإســـــلام حتَّى يَقومَ الدِّين معتـــدلاً حنيفًا
وتُنســـــى اللات والعزى وود ونسلبها القـــلائد والشنوفَا (١)
فأمســـــوا قد أقروا واطمأنوا ومن لا يمتنع يقبل خسوفَا (٢)

● كنانة يرد على كعب :

فأجابه كنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عمير ، فقال :

مَن كان يَبغينـــــا يُريد قِتالنَا فإنا بَدارٍ معـــــلَّم لا نريمها
وَجدنا بها الآباء من قبـــل ما ترى وكانت لنا أطـــواؤها وكرومها (٣)
وقد جربتنا قبل عمرو بن عامر (٤) فأخبرها ذو رأيهـــــا وحليمها
وقَد علمت انْ قالتْ الحق أنَّنا إذَا ما أبتْ صُعر الخدودِ نُقيمها (٥)
نُقَوِّمها حَتـــــى يَلينَ شَرِيسُها ويَعرفَ للحـــــقِّ المبين ظَلومها
عَلينا دِلاص مـــن تُراثِ مُحرقٍ كَلون الســـماءِ زَينتها نُجومها (٦)
نَرفهها عَنا ببيـــــض صَوارِمٍ إذا جَرتْ فـي غَمرة لا نشيمها (٧)

---

(١) شنوف : جمع شنف وهى حلية تعلق فى أعلى الأذن ·

(٢) الخسوف : الذود ·

(٣) الأطواء : جمع طوى وهى البئر جمعت على غير قياس توهموا سقوط ياء فعيل منها إذ كانت زائدة ·

(٤) قال هذا جوابًا للأنصار لأنهم بنو حارثة بن ثعلبة بن عامر ولم يرد أن الأنصار قد جربتهم قبل ذلك وإنما أراد إخوتهم وهم خزاعة وقد كانوا حاربوهم عند نزولهم مكة ، وقيـــل : إنما أراد عمرو بن عامر بن صعصعة ·

(٥) صعَّر خده : أماله إلى جهة تكبرا ·

(٦) دِلاص : الدروع اللينة · مـــحرق : عمـــرو بن عامر ، لأنه أول من حرق العرب بالنار ·

(٧) لا نشيمها : لا نغمدها ·

• شعر شداد بن عارض :

قال ابن إسحاق : وقال شداد بن عارض الجشمى فى مسير رسول الله ﷺ إلى الطائف :

لا تَنْصروا اللاَّتَ إنَ اللهَ مُهلكهَا   وكيف يُنصر من هو ليس يَنتصرُ
إنَّ التى حُرِّقت بالسَّد فاشتعلت   ولم يقاتل لدى أحجـارها هَدَرُ
إن الرسولَ متـى ينزل بلادكُمُ   يظعن وليس بها من أهلـا بَشرُ

الطريق إلى الطائف : قال ابن إسحاق : فسلك رسول الله ﷺ على نخلة السمانية ، ثم على قرن ، ثم على المليح ، ثم على بحرة الرغياء من لية (١) ، فابتنى بها مسجداً فصلى فيه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عمرو بن شعيب : أنه أقاد يومئذ ببحرة الرغاء ، حين نزلها ، بدم وهو أول دم أقيد به فى الإسلام ، رجل ، من بنى ليث قتل رجلا من هذيل ، فقتله به ، وأمر رسول الله ﷺ ، وهو بلية ، بحصن مالك بن عوف فهدم ، ثم سلك فى طريق يقال له الضيقة ، فلما توجه فيها رسول الله ﷺ سأل عن اسمها ، فقال : ما اسم هذه الطريق ؟ فقيل له الضيقة ، فقال : بل هى اليسرى ، ثم خرج منها على نخب ، حتى نـزل تحت سـدرة ، يقال لها الصادرة ، قريبا : من مال رجل من ثقيف ، فأرسـل إليه رسول الله ﷺ : إما أن تخرج ، وإما أن نخرب عليك حائطك (٢) ، فأبى أن يخرج ، فأمر رسول الله ﷺ بإخرابه .

ثم مضى رسول الله ﷺ حتى نزل قريبا من الطائف ، فضرب به عسكره ، فقتل به ناس من أصحابه بالنبل ، وذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف ، فكانت النبل تنالهم ، ولم يقدر المسلمون على أن يدخلوا حائطهم ، أغلقوه دونهم ، فلما أصيب أولئك النفر من أصحابه بالنبل وضع عسكره عند مسجده الذى بالطائف اليوم ، فحاصرهم بضعًا وعشرين ليلة .

---

(١) أسماء أماكن بالطائف .

(٢) الحائط : أى البستان أو الحديقة التى لها سور .

قال ابن إسحاق : ومعه امرأتان [١] من نسائه ، إحداهما أم سلمة بنت أبى أمية ، فضرب لهما قبتين [٢] ، ثم صلى بين القبتين . ثم أقام ، فلما أسلمت ثقيف بنى على مصلى رسول الله ﷺ عمرو بن أمية بن وهب بن معتب بن مالك مسجداً ، وكانت فى ذلك المسجد سارية [٣] ، فيما يزعمون ، لا تطلع الشمس عليها يومًا من الدهر إلا سمع لها نقيض [٤] فحاصرهم رسول الله ﷺ وقاتلهم قتالاً شديداً وتراموا بالنبل [٥] .

● يوم الشَّدْخة :

قال ابن إسحاق : حتى إذا كان يوم الشَّدخة عند جدار الطائف دخل نفر من أصحاب رسول الله ﷺ تحت دبابة ، ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ليخرقوه ، فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار ، فخرجوا من تحتها ، فرمتهم ثقيف بالنبل ، فقتلوا منهم رجالاً ، فأمر رسول الله ﷺ بقطع أعناب ثقيف ، فوقع الناس فيها يقطعون .

● أبو سفيان بن حرب والمغيرة يتفاوضان مع ثقيف :

وتقدم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة إلى الطائف ، فناديا ثقيفا [٦] : أن أمنونا حتى نكلمكم فأمنوهما ، فدعوا نساء من نساء قريش وبنى كنانة ليخرجن إليهما ، وهما يخافان عليهن السباء [٧] ، فأبين ، منهن آمنة بنت أبى سفيان كانت عند [٨] عروة بن مسعود ، له منها داود بن عروة [٩] .

---

(١) أى مع رسول الله ﷺ .
(٢) أى خيمتين .
(٣) مثل العمود .
(٤) نقيض : صوت .
(٥) قال ابن هشام : ورماهم رسول الله ﷺ بالمنجنيق ، وقال أيضًا : حدثنى من أثق به أن رسول الله ﷺ أول من رمى فى الإسلام بالمنجنيق ، رمى أهل الطائف .
(٦) أى نادوا : يا بنى ثقيف .
(٧) أى الأسر .
(٨) أى كانت زوجة عروة بن مسعود .
(٩) قال ابن هشام : ويقال إن أم داود ميمونة بنت أبى سفيان ، وكانت عند أبى مرة ابن عروة بن مسعود ، فولدت له داود بن أبى مرة .

قال ابن إسحاق : الفراسية بنت سويد بن عمرو بن ثعلبة ، لها عبد الرحمن ابن قارب ، والفقيمية أميمة بنت الناسىء أمية بن قلع ، فلما أبين عليهما ، قال لهما ابن الأسود بن مسعود : يا أبا سفيان ويا مغيرة ، ألا أدلكما على خير مما جئتما له ؟ إن مال بنى الأسود بن مسعود حيث قد علمتما ، وكان رسول الله ﷺ بينه وبين الطائف ، نازلا بواد يقال له العقيق ، إنه ليس بالطائف مال أبعد رشاء ، ولا أشد مؤونة ، ولا أبعد عمارة من مال بنى الأسود ، وأن محمداً إن قطعه لم يعمر أبداً فكلماه فليأخذه لنفسه أو ليدعه لله والرَّحم ، فإن بيننا وبينه من القرابة ما لا يُجهل ، فزعموا أن رسول الله ﷺ تركه لهم (١) .

أبو بكر يُفسِّر رؤيا الرسول ﷺ : وقد بلغنى أن رسول الله ﷺ قال لأبى بكر الصديق وهو محاصر ثقيفا : يا أبا بكر ، إنى رأيت أنى أهديتْ لى قبعة مملوءة زبداً ، فنقرها ديك فهراق ما فيها . فقال أبو بكر : ما أظن أن ندرك منهم يومك هذا ما نريد . فقال رسول الله ﷺ : وأنا لا أرى ذلك .

ارتحال المسلمين عن الطائف : ثم إن خويلة بنت حكيم بن أمية بن حارثة ابن الأوقص السلمية ، وهى امرأة عثمان ، قالت يا رسول الله ، أعطنى إن فتح الله عليك الطائف حُلى بادية بنت غيلان بن مظعون بن سلمة ، أوحُلى الفارعة بنت عُقيل ، وكانتا من أحلى نساء ثقيف .

فذكر لى أن رسول الله ﷺ قال لها : وإن كان لم يؤذن لى فى ثقيف يا خويلة ؟ فخرجت خويلة ، فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب ، فدخل على رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله : ما حديث حدثتنيه خويلة ، زعمت أنك قلته ؟ قال : قد قلته ، قال أوَما أُذن لك فيهم يا رسول الله ؟ قال : لا ، قال : أفلا أوذن بالرحيل ؟ قال : بلى . قال : فأذن عمر بالرحيل .

فلما استقل الناس نادى سعيد بن عبيد بن أسيد بن أبى عمرو بن علاج : ألا إن الحى مقيم . قال : يقول عيينة بن حصن : أجل ، والله مجدة كراما ، فقال له رجل من المسلمين : قاتلك الله يا عيينة . أتمدح المشركين بالامتناع من رسول الله ﷺ ، وقد جئت تنصر رسول الله ﷺ ! فقال : إنى والله ما جئت لأقاتل

(١) تألفًا لقلوبهم .

ثقيفا معكم ، ولكنى أردت أن يفتح محمد الطائف،فأصيب من ثقيف جارية أطؤها ، لعلها تلد لى رجلا ، فإن ثقيفا قوم مناكير [١] .

عبيد الطائف ينزلون إلى المسلمين : قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم ، عن عبد الله بن مكدم ، عن رجال من ثقيف قالوا : لما أسلم أهل الطائف تكلم نفر منهم فى أولئك العبيد ، فقال رسول الله ﷺ : لا ، أولئك عتقاء الله ، وكان ممن تكلم فيهم الحارث بن كلدة .

● شعر الضحاك فى إطلاق أُبَى بن مالك من يد مروان :

قال ابن إسحاق : وقد كانت ثقيف أصابت أهلاً لمروان بن قيس الدوسى وكان قد أسلم ، وظاهر رسول الله ﷺ على ثقيف ، فزعمت ثقيف ، وهو الذى تزعم به ثقيف أنها من قيس ، أن رسول الله ﷺ قال لمروان بن قيس : خذ يا مروان بأهلك أول رجل من قيس تلقاه ، فلقى أُبى بن مالك القشيرى فأخذه حتى يؤدوا إليه أهله فقام فى ذلك الضحاك بن سفيان الكلابى ، فكلم ثقيفًا حتى أرسلوا أهل مروان ، وأطلق لهم أبى بن مالك ، فقال الضحاك بن سفيان فى شىء كان بينه وبين أبى مالك :

أتنسى بَلائـــى يا أُبىَّ بن مَالك ... غَداة الرسول معرض عنك أشوسُ [٢]

يَقُودك مروان بن قَيْس بحبـــله ... ذليلاً كما قيد الذلول المخيـــسُ [٣]

فَعادتْ عَلَيْك من ثَقِيــف عِصـَابَةٌ ... متَى يأتهم مســـتقبس الشر يقبِسُوا

فكانوا هُم المولى فعادت حُلومهـــم ... عَليك وقَدْ كَادتْ بِك النفـــسُ تَيأسُ

* * *

---

(١) المناكير : جمع منكر : هو الفطن الذكى .

(٢) الأشوس : من يعرض بنظره إلى جهة أخرى .

(٣) المخيس : المذلل .

الشهداء يوم الطائف

قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من استشهد من المسلمين مع رسول الله ﷺ يوم الطائف :

من قريش ، ثم من بنى أمية بن عبد شمس : سعيد بن سعيد بن العاص ابن أمية ، وعرفطة بن جناب ، حليف لهم ، من الأسد بن الغوث .

قال ابن إسحاق : ومن بنى تيم بن مرة . عبد الله بن أبى بكر الصديق ، رمى بسهم ، فمات منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ .

ومن بنى مخزوم : عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة ، من رمية رميها يومئذ .

ومن بنى عدى بن كعب : عبد الله بن عامر بن ربيعة ، حليف لهم .

ومن بنى سهم بن عمرو : السائب بن الحارث بن قيس بن عدى ، وأخوه عبد الله بن الحارث .

ومن بنى سعد بن ليث : جليحة بن عبد الله .

واستشهد من الأنصار : من بنى سلمة : ثابت بن الجذع .

ومن بنى مازن بن النجار : الحارث بن سهل بن أبى صعصعة .

ومن بنى ساعدة : المنذر بن عبد الله .

ومن الأوس : رُقيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لوذان بن معاوية .

فجميع من استشهد بالطائف من أصحاب رسول الله ﷺ اثنا عشر رجلا سبعة من قريش ، وأربعة من الأنصار ، ورجل من بنى ليث .

قصيدة بجير بن زهير فى حنين والطائف : فلما انصرف رسول الله ﷺ عن الطائف بعد القتال والحصار ، قال بجير بن زهير بن أبى سلمى يذكر حُنينا والطائف :

كانت عِلالة يَومَ بَطْنِ حُنَيْن ... وغداة أوطاس ويوم الأبرقِ [1]

---

(١) العلالة : جرى بعد جرى ، أو قتال بعد قتال ، يريد : أن هوازن جمعت جمعها علالة فى ذلك اليوم ، وحذف التنوين من علالة ضرورة ، وأضمر فى كانت اسمها ، وهو القصة وإن كانت الرواية بخفض يوم ، فهو أولى من التزام الضرورة القبيحة بالنصب ، ولكن=

جَمعتْ بإغواء هَوازن جَمعـــها ... فتبددوا كالطائـــر المتمزق

لَم يمنعوا منَّا مَقَـــامًا واحدًا ... إلا جَدارهم وبطـــنُ الخندق

ولَقد تَعرضنـــا لكيما يخرجوا ... فَتحصنـــوا منا بباب مغلق

تَرتد حســـرانا إلى رَجْراجة ... شَهْباء تَلمع بالمنايـــا فيلقِ (١)

مَلمومة خَضْراءَ لو قَذفوا بِها ... حضنًا لظَل كأنه لـــم يخلقِ (٢)

مَشى الضراء عَلى الهِراسِ كأننا ... قُدر تَفرَّق فى القيـــاد وتلتقى (٣)

فى كُلِّ ســابغة إذَا مَا استَحصنتْ ... كَالنّهْى هَبَّت رِيْحـــهُ المترقْرِق (٤)

جُدل تَمس فضـــولهن نِعالنا ... من نســـج داود وآل محرقِ (٥)

* * *

= ألفيته فى النسخة المقيدة ، وإذا كان اليوم مخفوضًا بالإضافة جار فى علالة أن يكون منصوبا على خبر كان . فيكون اسمها عائدًا على شىء تقدم ذكره ، ويجوز الرفع فى علالة مع إضافتها إلى يوم ، على أن تكون كان تامة مكتفية باسم واحد ، ويجوز أن تجعلها اسما علمًا للمصدر مثل برة وفجار ، وينصب يوم على الظرف كما تقيد فى النسخة . انظر الروض الأنف جـ ٤ ص ١٦٥ .

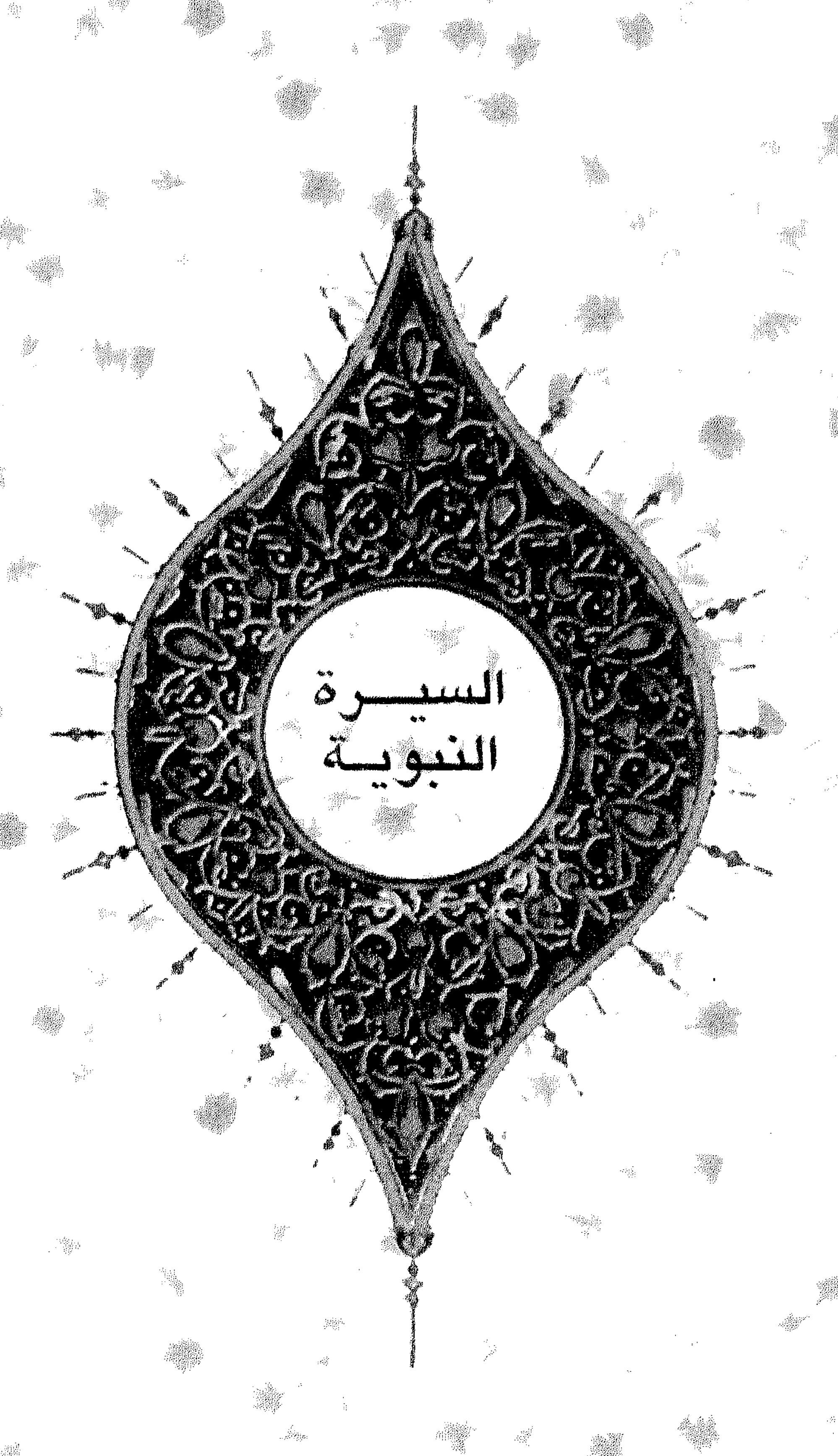
(١) حسرانًا ، جمع : حســير وهو الكليل ، والرجراجة : الكتيبة الضخمة من الرجرجـــة ، وهى شدة الحركة والاضطراب . وفيلق : من الفلق ، وهى الداهية .

(٢) ملمومة : مجتمعة . خضراء : تظهر كذلك لكثرة ما عليها من الحديد - حضن : اسم جبل .

(٣) الضراء : الكلاب . والهراس : نوع من الشوك ، والكلاب إذ مشت فى الهراس ابـتغت لأيديها موضعا ثم تضع أرجلها موضع أيديها . شبه الخيل بها ، والقدر : الوعول المسنة .

(٤) النهى : الغدير سمى بذلك لأن الماء نهاه ما ارتفع من الأرض من السيلان فوقف .

(٥) الجدل : المنسوجة نسجًا محكمًا . آل محرق : آل عمرو بن هند ملك الحيرة .


السيرة
النبوية